لقد كانت مؤتمرات الفكر الإسلامي الفرصة الثمينة التي وفرت المجالات الطيبة لهذه الأمة الإسلامية كي تستمع الى المفكرين من شتى أنحاء العالم الإسلامي وهم يناقشون القضايا المهمة ويطرحون الحلول الناجحة لمشاكل المسيرة الإسلامية الصاعدة.

وقد كانت رعاية قائد الثورة الإسلامية الكبرى آية الله العظمى السيد الخامنئي لهذه المؤتمرات من أبرز معالمها وأكبر دعائمها الفكرية، ومن هنا فنحن نتشرف بنشر محاضرات سماحته في مؤتمرات الفكر الإسلامي اعتباراً من المؤتمر الثاني وحتى المؤتمر السابع راجين للقراء الكرام الاستفادة الكاملة من هذا الفكر القيادي الإسلامي الأصيل.

ورحم الله إمامنا الفقيد الراحل وأسكنه الفسيح من جناته إذ كانت هذه المناسبات إحدى نتائج قدرته العظيمة.

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

{كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} (سورة إبراهيم، 1)..

قال رسول الله(ص): (إذا التبست عليكم الفن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع وما حل مصدق، من جعله أمامه قاده الى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه الى النار، وهو الدليل يدلُّ على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيلٌ وبيانٌ وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له تخوم، وعلى تخومه تخوم، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، ليجل جال بصره، وليبلغ الصفة نظره ينج من عطب ويتخلّص من نشب).

وقال علي(ع): (واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغشّ، والهادي الذي لا يضلّ، والمحدّث الذي لا يكذب، وما جالس القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدًى، أو نقصان في عمًى).

إنّ من الضرورة بمكان أن تركز الأمة الإسلامية اليوم على هذا التعريف الذي قدّمه نبي الإسلام للقرآن.

إنّ البيئة المعاشية للمسلمين لم تلوث الى هذا الحد الذي تلوثت به اليوم من سحب سوداء متراكمة وقطع الليل المظلم.

صحيح أننا نجد القرآن . ومنذ الخطوات الأولى التي تلت تحوّل الخلافة الإسلامية الى السلطنة الطاغوتية . وقد تحوّل في الواقع الى زائدة كمالية، وخرج بشكل رسمي . وإن لم يكن ذلك بشكل إسمي . عن المجال الحياتي للمسلمين، إلاّ أن ما حدث في جاهلية القرن العشرين من خلال عمل الأجهزة السياسية والإعلامية المعقدة ، يعدّ أخطر من ذلك بمراتب، وأكثر بعثاً على القلق بلا ريب.

ولكي يعزل الإسلام عن الحياة، فإنّ أكبر وسيلة وأكثرها أثراً هي إخراج القرآن عن المجال الذهني والقلبي والعملي للأمة الإسلامية. وهذا بالتأكيد ما عمل له المتسلطون الأجانب والعملاء الداخليون لهم، سالكين هذه السبيل عبر الاستعانة بشتى الأنماط والوسائل.

إنّ القرآن وهو (حسب تعبيره هو) الكتاب المقدّس، والنور، والهدى، والفرقان بين الحق والباطل، والحياة، والميزان والشفاء، والذكر؛ لا تتم له هذه الخصال . بشكلٍ عملي . إلاّ إذا تمّ قل كل شيء استيعابه فهماً، وتطبيقه عملاً.

لقد كان القرآن في عصر الحكم الإسلامي في الصدر الأول، هو القول الفصل والكلمة الأخيرة، وحتى كلام الرسول(ص) فإنه يجب أن يعرض عليه. وكان حَمَلَة القرآن، يتمتعون بمكانة مرموقة في المجتمع بعد أن كان الرسول(ص) قد أعطى الأمة التعليم القائل: (أشرف أمتي، أصحاب الليل وحملة القرآن).

لقد كان استيعاب القرآن علماً وعملاً، يشكل قيمة واقعية. فللعثور على حلٍّ لكل مشكلة حياتية يجب الرجوع الى القرآن. ولقد كان القرآن ملاك قبول أي حديث، أو أسلوب، أو مدّعى، ومعياره. كان عليهم أن يعرفوا الحق والباطل من وجهة نظر القرآن ليشخصوا نماذجهما ومصاديقهما في ميدان الحياة.

ومنذ فقدت القوى الحاكمة على المجتمعات المسلمة القيم الإسلامية واغتربت عنها ورأت في القرآن . وهو الناطق بالحق وفرقان الحق والباطل عقبة في سبيلها، بدأ السعي الحثيث لإبعاد كلام الله عن ميدان الحياة، ووجد عقيب ذلك الفصل بين الدين والحياة الاجتماعية، والتفريق بين الدنيا والآخرة، والتقابل بين المتدينين الواقعيين وأهل الدنيا المقتدرين، وأبعد الإسلام عن مركز إدارة مجالات الحياة الاجتماعية للمجتمعات المسلمة، ليقتصر على المساجد والمعابد والبيوت وزوايا القلوب، وهكذا وجد الفصل بين الحياة بكل ما عاد به من خسارة على المدى الطويل.

ومن الطبيعي أن القرآن قبل أن يتم الهجوم الواسع للمتسلطين الغربيين . الصليبيين والصهاينة . وإن لم يكن موجوداً في المجال الحياتي بالمعنى الحقيقي إلا أنه كان يحتل مكانة في أذهان المسلمين وقلوبهم . على تفاوت بينهم في ذلك . غير أن الهجوم الصليبي . الصهيوني في القرن التاسع عشر، لم يستطع أن يتحمل حتى هذا القدر أيضاً. إنهم لا يستطيعون أن يتحملوا وجود القرآن الذي يصدر بكل وضوح أمر:{ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ} (سورة الأنفال، 60).

ويصدح بقول: {وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً} (سورة النساء، 141)، القرآن الذي يريد للمؤمنين أن يكونوا إخوة فيما بينهم، أشداء غضاباً على أعدائهم، مثل هذا القرآن لا يمكن أن يتحمله المتسلطون الساعون للسيطرة على أزمة أمور المسلمين، ونهب كل شيء لديهم.

إنّ هؤلاء المتسلطين أدركوا . بكل وضوح . أن القرآن رغم هذا الحضور غير الكامل في حياة الأمة، لن يسمح لتسلطهم ونفوذهم أن يسلكا سبيلهما المنشودين، لذا فقد وضعوا خطة حذف القرآن بشكل كامل، وطبيعي أن لا تمتلك ولن تمتلك هذه الخطة تطبيقاً عملياً، ذلك أن الله تعالى قد وعد الأمة

الإسلامية بحفظ القرآن دائماً على أننا لا نستطيع أن نغض النظر عن نتائج ذلك السعي الواسع الأبعاد الذي تم من قبلهم بهذا الصدد.

ألقوا اليوم نظرة على ميدان حياة المسلمين، فأين تجدون القرآن؟

هل تجدونه في أجهزة الحكومات؟ أو في النظم الاقتصادية؟ أو في تنظيم العلاقات والمناسبات بين الناس بعضهم مع البعض الآخر؟ في المدارس والجامعات؟ في السياسة الخارجية والعلاقات بين الدول؟ في تقسيم الثروات الوطنية بين فئات الشعب؟ في أخلاقية المسؤولين في المجتمعات الإسلامية وكل فئات الشعوب التي تتأثر بهم . قليلاً أو كثيراً .؟ في السلوك الفردي للحكام المسلمين؟ في العلاقات بين الرجل والمرأة؟ في الأرصدة المصرفية؟ في أنماط المعاشرة؟ في أي مكان من الحركة العامة والاجتماعية للناس؟ ولنستثنِ من كل هذه الميادين الحياتية المساجد والمآذن وأحياناً بعض البرامج . التي لا تعد شيئاً . من الإذاعات رياءً وخداعاً لعامة الناس. ولكن هل جاء القرآن لهذا فقط؟ لقد كان السيد جمال قبل مئة سنة يبكي ويبكي لهذا الأمر، حيث عاد القرآن يقتصر على الإهداء والتزيين والتلاوة في المقابر والوضع على الرفوف.. ولكن ماذا حدث في المئة سنة هذه؟ ترى ألا يبعث وضع القرآن لدى الأمة الإسلامية على القلق؟

إنّ الحديث كلّه يتركز على أن القرآن، كتاب حياة الإنسان؛ إنسان اللانهاية، الإنسان المتكامل، الإنسان ذي الأبعاد، الإنسان الذي لا حدّ لتكامله، إن هذا الهادي والمعلم للإنسان قادر على أن يرعاه في كل العصور، وإن نظام الحياة اللائق بالإنسان، إنما يتعلمه الإنسان من القرآن لا غير، وأن الأساليب التي يجب أن يتبعها ليرفع عن كاهله أنواع الظلم، والتفرقة والفساد، والجهل، والطغيان، والانحراف، والدناءة، والخيانة التي ابتلى بها خلال تاريخه الطويل فكانت عقبة في سبيل رشده وتعاليه، كل هذه الأساليب إنما يمكن أن تكون عملية في ظل الهداية القرآنية والمخطط الذي طرحه الكتاب السماوي للحياة الإنسانية.

إن العودة الى القرآن، هو عودة الى الحياة التي تليق بالإنسان، وهي المهمة الملقاة على عاتق المؤمنين بالقرآن، وفي طليعتهم العارفون به، والعلماء والمبلغون الدينيون.

وإن العودة الى القرآن، شعار لو يطرح بشكل حقيقي وجدي، لاستطاع أن يقدم الفارق بين الحق والباطل، كما يجل أن لا تتحمل الشعوب الإسلامية وجود تلك القوى التي لا تريد أن تقبل مسألة العودة الى القرآن.

إخواني المسلمين، أخواتي المسلمات

إننا بعد أن ابتلينا ـ كذلك ـ بالبعد عن القرآن وأصبنا بآثار التآمر ضد القرآن من قبل الأعداء العالميين، قد ذقنا طعم العودة الى القرآن. وإن انتصار الثورة الإسلامية العظيمة في إيران، وإقامة نظام الجمهورية الإسلامية، ليعدّان من الآثار المباركة الكبرى لهذه العودة.

إنّ هذا الشعب ليشاهد اليوم في أُفق حياته، وفي علاقاته الاجتماعية، وفي شكل حكومته ومحتواها، وفي مناقبية قادته، وفي سياسته الخارجية، وفي نظام التعليم والتربية لديه، يشاهد في كل ذلك لمعات من التعليم القرآني.. إن الذي هبّ علينا لحد الآن إنما هو نسيم من جنة القرآن.. إلا أن الطريق أمام السعي والحركة، ما زال مفتوحاً للوصول الى بحبوحة هذه الجنة الواقعية.

إنّ مؤتمر الفكر الإسلامي ليؤدي رسالة سامية، إذ يعرض قائمة بالمعارف القرآنية، ويقوم بخطوة على سبيل طرح المعرفة القرآنية من جديد.

إنّ البحث في الموضوعات التي جاءت في جدول أعمال هذا المؤتمر، يجب أن يمتلك القدرة على منح الأذهان المستعدة الإذعان بأن كل ما تتطلبه إدارة حياة اجتماعية لائقة متوفر في القرآن، وذلك من المعرفة الذهنية الى الأساليب العملية، ومن العقيدة الهادية المحفزة والمعبئة للنفوس الى النظم المتنوعة التي تشكل أقساماً مختلفة للحياة الاجتماعية، ومن تحليل ماضي التاريخ البشري الى التنبؤ بمستقبل الإنسان.

إننا نجد الفلسفات، والآيديولوجيات المادية المتنوعة، قد وصلت الى طرق مسدودة، وذلك على الصعيد الذهني والعملي، فعجزت بالتالي عن اجتذاب القوى الإنسانية وتعبئتها.

والدور الآن للحاكمية القرآنية، لتقوم بسد الفراغ الموجود في الأذهان والأعمال الإنسانية، وتبشر بتحقق الوعد القرآني.

{ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} (سورة التوبة، 33)..

وعليكم أنتم إخوتي وأخواتي أن تواصلوا ممارساتكم حول محور القرآن من مجالات المعرفة الى ساحات العمل، ومن القراءة الى التفسير، ومن القبول الذهني الى التحقق الخارجي. إحملوا شعار العودة الى القرآن الى أقطاركم، وانشروه بين شعوبكم، وشجعوهم وقربوهم من تحقيق هذا الشعار. وإني لآمل أن تعينكم وتهديكم روح القرآن وباطنه في هذا المسعى المبارك.

إن "الحكومة الإسلامية" تعتبر من أهم القضايا الراهنة للعالم الإسلامي، بل وحتى للعالم غير الإسلامي، فهي أدق المسائل وأكثرها إثارة.

وعندما يكون اسم الإسلام مقروناً بالحكومة والنظام السياسي وتشكيل مجتمع ما، فإنه يكون مثيراً بالنسبة للمسلمين، وفي نفس الوقت مرعباً ومخيفاً لأعداء الإسلام.

ومنذ أن بدأت النهضة الإسلامية (أي منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي)، فإن العالم غير الإسلامي والقوى السياسية العظمى في العالم، التي كانت ـ آنئذ ـ في بداية تكوينها، أحسّت جميعها بالخطر، خاصة وأن استعادة الإسلام لحياته؛ أو بتعبير أدق الإسلام الذي يدّعي الحكومة والنظام الاجتماعي، ظهر أول ما ظهر في المناطق التي كان الاستعمار باسطاً سلطته عليها، والتي كانت تواجه مطامع السياسات السلطوية العالمية.

إن الفكر الإسلامي الثوري الذي يدعو الى الاستقلال وحاكمية الإسلام ظهر خلال القرن الأخير في الهند، ثم في بعض دول شمال أفريقيا والشرق الأوسط التي كانت تعاني من الظلم والإضطهاد، ومن هنا بدأ الاستعمار يحسب حساباً لتلك المناطق.

إن الاستعمار البريطاني العجوز ـ وللمحافظة على شبه القارة الهندية ـ ارتكب في تلك المنطقة جرائم لم يكن لها مثيل. وقد لا نبالغ إذا قلنا إن مبادرة بريطانيا لإقامة سلطة لها في بعض مناطق أفريقيا والشرق الأوسط، جاءت لحفظ سلطتها على الهند.

وتزامناً مع الاهتمام الذي كان يوليه الاستعمار البريطاني للهند، سُمِعَت في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي صيحات بعض القادة الدينيين لتلك المنطقة الذين كانوا يدعون الى الجهاد والشهادة، فأدخلت الرعب في نفوس الإنجليز. ولذلك وحتى بعد مرور 50 عاماً على الانطفاء المؤقت للشعلة التي أوقدها كبار علماء الهند في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، مثل السيد أحمد عرفان والشاه عبد العزيز دهلوي، كان عملاء الإنجليز يحاولون تشويه صورة تلك الشخصيات أمام الشعب الهندي وإثارة الناس ضدهم، كما أوجدوا ديناً مأجوراً ليتحدى الدين الإسلامي. لذلك ليس من العجب أن نرى أنه عندما يحمل السيد جمال الدين راية الإسلام في إيران والهند ومصر وأوروبا وتركيا، ويدعو الناس الى الإسلام، فإن ردود فعل المستعمرين في ذلك الوقت، تشكل في الحقيقة جزءاً من أكبر ردود الفعل التي تواجه أي حركة ثورية. وإلا فهل كان السيد جمال يعمل شيئاً آخر في مصر وبقية الدول الأخرى عدا دعوته الناس الى الإسلام؟!

وخلال مئة عام، أي منذ بدء النهضة الإسلامية الحديثة، كان الاستكبار العالمي والذي كان ـ آنئذ ـ متمثلاً بالاستعمار الإنجليزي يقضي على كل حركة من جانب العلماء المسلمين، تحمل اسم الإسلام ولها دوافع إسلامية، وكمثال على ذلك سحق الحركات الإسلامية في الهند ومصر وبقية الدول الإسلامية.

هذه المسائل إنما تبين مدى تخوّف العالم الاستكباري والسلطات العالمية من اسم الإسلام الذي يدعو الى الحاكمية وإدارة حياة أتباعه.

وبديهي أن هناك قانوناً عاماً، وهو أن أهل الحق لو صمدوا في دعوتهم لانتظروا وانسحب العدو، وهذا ما حصل بالفعل. لذا فإن أول نموذج لمثل هذا التراجع نراه في مقابل "نهضة التنباك" في إيران التي قادها الميرزا الشيرازي والذي كان يناضل ضد السلطة الاقتصادية لبريطانيا.

فالمرحوم الشيرازي حرك بخطوته تلك الشعب الإيراني، معتمداً على الإيمان الديني لأفراد الشعب، بحيث استطاع في نهاية الأمر أن يهزم العدو.

وبعد أعوام على تلك النهضة، انطلقت "الثورة الدستورية"، حيث تحرك الناس في ذلك الوقت بفتوى وقيادة المراجع الدينيين وعلماء الإسلام، وأجبروا السلطة الاستبدادية على التراجع، كما أفشلوا السياسات العالمية التي كانت تدعم الاستبداد، واستطاعوا أن يشكلوا حكومة تستند الى أحكام الإسلام؛ لكن تلك الثورة فشلت بعد انتصارها، وذلك بسبب أحابيل الاستعمار.

وبعد عدة سنين حدثت في إيران مجدداً انتفاضة مسلحة باسم "انتفاضة الغابة" يقودها أحد علماء الدين المسلمين وبعض المسلمين المجاهدين، يدعمها أكثر علماء الدين.

وفي نفس الوقت، أي بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بدأت في العراق أكبر ثورة لعلماء الدين ضد الاستعمار البريطاني.

وكانت تلك الثورة تعكس ـ في الحقيقة ـ المقاومة العظيمة للحوزة العلمية في النجف الأشرف أمام سلطة بريطانيا على العراق.

وخلال تلك الانتفاضات، حقق المسلمون بعض الانتصارات، وتلقَّوا في نفس الوقت بعض الضربات.

والتجربة التي مر بها المسلمون وغير المسلمين طوال هذه المدة، أثبتت الحقيقة التالية وهي أن الإسلام إذا ما تحرك في نقطة من العالم بهدف إقامة نظام إسلامي، فستكون له القدرة على تعبئة وتشكيل القوى وتحدي القوى الاستعمارية. وقد مررنا نحن بهذه التجربة وخرجنا بهذه النتيجة وهي أنه أينما ظهرت حركة إسلامية شعر الاستكبار العالمي بالرعب منها وحاول التصدي لها.

بديهي أننا نعتقد أن الحق يخرج نتصراً في كل صراع يخوضه ضد الباطل، بالضبط كما يعد القرآن الكريم بذلك {أم يقولون نحن جميعٌ منتصرٌ. سيهزم الجمع ويولون الدبر} (القمر، 44 ـ 45).

وعلى أي حال فإن البحث حول "الحكومة الإسلامية" بحث مهم للغاية بنظر المسلمين، كما هو باعتقادنا أهم بحث يلزم ـ اليوم ـ طرحه في العالم الإسلامي.

وهنا أريد أن أُلفت انتباه الإخوة الأعزة المشاركين في هذا المؤتمر (مؤتمر الفكر الإسلامي) والذين يتدارسون المسائل المتعلقة بالحكومة الإسلامية، الى بعض الأمور:

منها أن بعض الأشخاص من بين المجتمعات الإسلامية، ومن بين المؤمنين بالإسلام ـ وبتأثير من الدعايات الثقافية المغرضة للأعداء ـ حصلت لهم هذه القناعة وهي أن الإسلام يفتقر الى نظام سياسي وحكومي، وفي نفس الوقت ساق هؤلاء الجماهير المسلمة نحو مثل هذا الاعتقاد.

وإن أهم وظيفة ملقاة على عاتق المفكرين الإسلاميين هي إزالة هذه التصورات الباطلة من الأذهان.

إن الاعتقاد بالتوحيد ووجود الله يعني الاعتقاد بالحياة النوعية الاجتماعية للإنسان، فأصل الاعتقاد بالله وبالأنبياء يقتضي أن ينتخب الإنسان شكل حياته الخاصة بإرشاد من الأنبياء.

والقرآن الكريم يشير الى هذه المسألة في عدة آيات منها {لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط...} (الحديد، 25).

ونفهم من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل وأنزل معهم الكتاب ليقيموا القسط، وليقيم الناس بدورهم القسط في المجتمع.

إذاً، فالسؤال هو: ما هي القواعد التي يجب أن تقام الحكومة على أساس منها؟ هذا سؤال مهم.

إن الحكومة تشكل العمود الفقري لحياة المجتمع. إذاً فبواسطة أي شخص، وعلى أساس أي قاعدة مبادئ، وبأي صورة يجب أن تشكّل؟ وهذا سؤال أساسي آخر.

إن جميع المذاهب تجيب عن هذا السؤال، فهل يمكن أن نتصور الأنبياء يتركونه بلا جواب؟

{وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتّبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولَّوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون. أفحكم الجاهلية يبغون ومَن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون} (المائدة، 49 ـ 50).

هذا هو جواب الأنبياء، وهذه الإجابة لا تقتصر على الإسلام فقط، إذ أن جميع الأنبياء جاؤوا ليجيبوا عن السؤال المذكور.

والنظام الذي يظهر على أساس من الاعتقاد الإلهي، له بُعد سياسي يتمثل بالحكومة، كما أن بُعده الاقتصادي قائم على إقامة القسط في المجتمع، كما وله أيضاً بُعد أخلاقي، ونظام سياسي ألا وهو نظام الحاكمية والتشريع وإدارة البلاد، والذي يسمى بـ "الحكومة الإسلامية".

إذاً علينا أن نعمل للقضاء على الأفكار التي تقول إن الإسلام لا يدعو المسلمين لإقامة حكومة إسلامية، لأن كل شعب يؤمن بالإسلام عليه أن يطالب بحكومة إسلامية؛ ولا يمكننا أن نتصور أناساً يؤمنون بالإسلام دون أن يؤمنوا بالحكومة الإسلامية.

إن عدم الاعتقاد بالحكومة الإسلامية، مصيبة كبرى قائمة في العالم الإسلامي.

والمسألة الأخرى هي أن العادة قد جرت بتشكيل حكومات مزيفة بدلاً من الحكومة الإسلامية الحقيقية. فكثير من الذين حكموا باسم الإسلام لحد اليوم، إنما كان وجودهم بمثابة تهمة موجهة الى الإسلام.

فعلى العالم الإسلامي ـ اليوم ـ أن يعرف ما هي الحكومة الإسلامية؟ وما لم يعرف ذلك، فمن المحتمل أن تترك الإدعاءات الباطلة لأعداء الإسلام تأثيرها في هذا المجال.

عندما تكون هناك في زاوية من العالم دولة غنية مثل إيران، تسلَّط عليها الاستكبار العالمي وخاصة أميركا لفترة طويلة، وكان يعتبرها معقلاً قوياً لحفظ مصالحه، وتحدث فيها ثورة على أساس الإسلام، وترحب الجماهير بالحكومة الإسلامية، وتحكّم القرآن في جميع أمورها، فإن هذا الأمر يشكل خطراً

على الاستكبار العالمي. ثم إن الاستكبار العالمي لن يتمكن ـ والحال هذه ـ من أن يدّعي بأن الدين هو أفيون الشعوب.

لقد كان هذا الإدعاء قائماً لعشرات السنين، حتى أن البعض قد آمن به. ولكن أي شخص يستطيع ـ اليوم ـ أن يعتقد بأن الدين هو أفيون الشعوب؟ وعندما تقوم أكثر الأفكار الاستكبارية والرأسمالية رجعية بمهاجمة الجمهورية الإسلامية بأحدث الأسلحة، فكيف يمكن اتهام نظامنا بالرجعية؟ وهل يمكن للنظام الذي يدعو الناس الى الاستقلال والحرية، أن يكون رجعياً؟ وهل يمكن للنظام الذي يدعو الناس الى الاستقلال والحرية أن يكون رجعياً؟ وهل يمكن لأعدائنا أن يدّعوا بأن نظام الجمهورية الإسلامية الذي يقف على رأسه إنسان زاهد، إنسان متّقٍ، يجسد حياة الأنبياء، نظام طاغوتي وملكي؟ وهل يمكن لمثل هذا النظام أن يتبع الأهواء والشهوات الدنيوية؟

كيف يريد أعداء الإسلام أن يتحدَّوا نظاماً يدعمه الشعب بكل ما يملكه من طاقات؟

قد يستطيع هؤلاء ـ عبر أحابيلهم ـ أن يوجدوا أنظمة مشابهة، ولكنها تظل مزيفة.

إن خطر تشكيل أنظمة إسلامية مزيفة في العالم الإسلامي اليوم بات كبيراً، وعلى المسلمين أن يأخذوا هذا الأمر بنظر الاعتبار. ومن هنا فإننا نعتقد بوجوب تحديد مفهوم الحاكمية في الدين.

ترى ما معنى حاكمية الدين؟ هل أن الحاكمية تعني السلطة المطلقة لشخص أو فئة معينة على الناس، أم تعني تحمل مسؤوليات كبيرة من قبل بعض الأشخاص الذين يتساوَون مع الآخرين من حيث الحقوق؟ ما هو منشأ هذه الحاكمية؟ وإذا ما تقرر أن يكون هناك شخص أو عدة أشخاص على رأس الحكومة الإسلامية، فبأي المقاييس يمكن لهؤلاء أن يحددوا المسؤوليات لأنفسهم؟

إن الإسلام قد أعطى أجوبة لمثل هذه الأسئلة، فهناك مقاييس فيما يتعلق بمسؤولي الحكومة الإسلامية كي لا يتمكن الأشخاص الذين يفتقرون الى تلك الخصائص من ترشيح أنفسهم للمناصب. فالإسلام لا يسمح بأن يشغل الفاسدون والمستبدون والأوغاد مناصب لهم عبر الحصول على آراء الناس.

إن رأي الناس أمر لا بد منه، إلا أن الشخص الذي له المؤهلات المطلوبة، عليه في نفس الوقت أن يكون تقياً عادلاً وعارفاً بالإسلام. فالشخص الذي يريد إدارة المجتمع، يجب أن يعرف الإسلام معرفة كاملة {أفمَن يهدي الى الحق أحق أن يُتّبع أمّن لا يهدِّي إلا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون} (يونس، 35).

نعم، من الضروري أن يكون الحاكم الإسلامي عارفاً بالدين وواعياً، ومَن يملك هذه الشروط ويتميز بالتقوى وضبط النفس يستطيع أن يرشح نفسه. ثم يصل الدور الى الناس ليبدوا رأيهم فيه، فإذا لم يوافقوا عليه، فلن يكون حكمه شرعياً، إذ أن الإسلام لا يقبل بفرض أية حكومة على الناس.

إن حكومة الله في النظام الإسلامي ممزوجة بحكومة الناس، ولذلك فعندما نقول "جمهورية إسلامية" فهذا يعني أن حفظ القوانين والأحكام الإسلامية لا يتناقض ونظام الجمهورية وانتخاب الناس.

والسؤال المطروح هو: كيف يجب أن تكون أخلاق الحاكم، ونوع الحكومة؟

إن التقرب الى الناس والتحدث معهم والعيش مثلهم، هي من المقاييس الأخرى لمسؤولي الحكومة الإسلامية. وأينما سُمِع اسم للحكومة الإسلامية فيجب البحث عن هذه المقاييس، وكلما روعيت هذه المقاييس اقتربت تلك الحكومة من الإسلام.

ومتى ما اقترنت حاكمية الكفر والفسق وسلطة المستكبرين العالميين وحفظ المصالح النفطية وغير النفطية لناهبي الشعوب، باسم الإسلام، فإن اسم الإسلام ـ آنئذ ـ لن يتعدى التزوير.

نحن لا نقبل بأي شكل من الأشكال أن تكون هناك حكومة إسلامية في ظل حاكمية أميركا والإتحاد السوفياتي وبقية القوى العظمى. لذلك فإن الحكومة الإسلامية (أي القسم الأساسي من الكيان السياسي للعالم السياسي) والتي تراعى فيها كافة السياسات الإسلامية الأخرى ومن بينها {ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً} (النساء، 141).

ومن جملة السياسات الأخرى {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم...} فهذه السياسات يجب أن تكون قائمة، لنتأكد من أن الحاكمية هي حاكمية إسلامية.

ومن الأساليب الأخرى، التي يلجأ إليها أعداء الإسلام والمتسلطون على العالم كسلاح ضد حاكمية الإسلام، هو تجريد الإسلام والفكر الإسلامي من الإخلاص والنزاهة والأصالة الإسلامية، فمتى ما ظهرت حركة إسلامية حقيقية قائمة على الإيمان والفكر الإسلامي، وضع الى جانبها تيار إسلامي آخر، ولكن بأفكار التقاطية؛ ومن هنا كان على المسلمين أن يأخذوا هذه المسألة بنظر الاعتبار.

ولو راجعنا تاريخ الحركات الإسلامية منذ القرن التاسع عشر والى اليوم، لرأينا أن مثل هذه التيارات كانت موجودة. على سبيل المثال إن الإنجليز أسسوا مدرسة إسلامية ذات اتجاهات غربية، مقابل مدرسة دار العلوم في الهند التي كانت مبلِّغة حقيقية للإسلام. ومثل هذه الأمور حدثت في بلادنا أيضاً، فمثلاً نجد الذين أنهَوا دراساتهم في الغرب، مزجوا الإيمان الإسلامي بالثقافة والإيديولوجية الغربية، وهذا ما خدم النظام الحاكم آنذاك والذي كان يخاف الإسلام الأصيل.

إن التيار الإسلامي في بلادنا والذي يستند الى الكتاب والسنّة، يتعرض اليوم لهجوم القوى العالمية. ولو لم يكن ملتزماً بالكتاب والسنّة لما كان يواجه مثل هذا الهجوم من قبل الأعداء.

لقد بذلنا منذ انتصار الثورة الإسلامية، جهوداً كثيراً لحفظ الإسلام المستنبط من الكتاب والسنّة، وصونه من التيارات الالتقاطية (الشرقية منها والغربية). فلن نقبل الإسلام الممزوج بثقافة الأجانب، ونعتقد أن مثل هذه الأفكار لن تشكل خطراً على الاستكبار.

وعلى أي حال، فمن الأجدر بالعالم الإسلامي ـ اليوم ـ بنفوسه البالغة ما يقارب مليار شخص، أن يفكر بالحكومة الإسلامية على أنها فكر عملي وجدي.

أيها الإخوة الأعزاء، إذا كان الأمل للمفكرين الإسلاميين قبل 50 عاماً متمثلاً بتأسيس عدد من الجامعات الإسلامية، وإذا كان هدف المفكرين الإسلاميين في يوم ما المشاركة في المؤتمرات العالمية بغية طرح الأفكار الإسلامية، فإن الوضع يتباين اليوم بدرجة كبيرة.

فاليوم تقوم في نقطة حساسة من العالم، حكومة على ضوء الكتاب والسنّة، وإن أمل تشكيل الحكومة الإسلامية لم يعد أملاً بعيداً. لذا فإن الشعوب الإسلامية لو دُعيت لتشكيل حكومة إسلامية، لما كان لها الحق في التزام السكوت وإظهار العجز.

إن الشعراء والخطباء والعلماء والكتّاب والفنانين الذين لهم دوافع إسلامية في قلوبهم، لا يحق لهم ـ اليوم ـ أن يلجأوا الى مكان آخر غير الإسلام، ويرووا عطشهم وعطش مخاطبيهم من ينبوع آخر غير ينبوع الإسلام، ذلك أن تحقق الإسلام أمر عملي، وإن الجمهورية الإسلامية في إيران هي نموذج لذلك.

نحن لا ندّعي تشكيلنا حكومة أشبه بحكومة الرسول الأكرم (ص)، ولكننا ندّعي بأننا نمضي الى الأمام نحو حكومة الرسول الأكرم (ص).

إن عالمنا الراهن هو عالم المجاميع، حيث أن القوى العظمى والدول الصغيرة في أجزاء متعددة من العالم تجتمع معاً لتحقيق أغراضها وأهدافها. وعلى هذا الأساس توجد في العالم اتحادات ومجالس ومعاهدات وأحلاف كثيرة، وإن أكثر تلك المجاميع ضعفاً هي منظمة المؤتمر الإسلامي.

الخميس ١٦ / فبراير / ٢٠١٧

- أرشيف
- ندوات وحوارات
- ملفات خاصة
- مكتبة الفيديو

ماهية منظمة المؤتمر الإسلامي

6مايو 2012 | في الفئة :الفكر الأصيل | لا توجد تعليقات | الزيارات: 7810

إنني وباعتباري رئيساً لدولة عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي أصرح من هنا بأن هذه المنظمة هي أكثر المنظمات العالمية ضعفاً وهزالاً وأكثرها فقداناً للتأثير الدولي، لها لا تدافع عن حق المسلمين، ولا تفكر في إيجاد الحلول لمشاكل العالم الإسلامي، كما ولا تتخذ أي مواقف تجاه أعداء الإسلام، ولا تبلّغ للإسلام.

إن الدولة الوحيدة التي ترفض الدستور والموازين العرفية في حالة تناقضها مع الفقه الإسلامي، تتمثل اليوم بالجمهورية الإسلامية، وإن النظام الوحيد الذي يستند في أحكامه وقوانينه الى الكتاب والسنّة هو نظامنا.

إن مجلس الشورى الإسلامي لن يصادق على أي قانون لا يتفق والفقه الإسلامي، على أنه حتى لو تمت المصادقة عليه، فإن مجلس صيانة الدستور يرفضه.

ترى ما هو الدعم الذي قدّمته منظمة المؤتمر الإسلامي (التي تضم مجموعة من الدول الإسلامية) الى الجمهورية الإسلامية التي تعمل لتطبيق الأحكام الإسلامية؟! وإذا كانت هذه المنظمة تدافع عن الإسلام حقاً، أليس من الأفضل لها أن تدافع عن بلاد يقوم نظامها على الأحكام الإسلامية؟! ولماذا لا ترد هذه المنظمة على الأجهزة الإعلامية العالمية التابعة للصهاينة والتي تتآمر على الثورة الإسلامية في إيران؟!

إن ما يقارب الـ 90 % من مجموعة أجهزة الإعلام العالمية المعروفة، هي ـ اليوم ـ في قبضة الصهاينة، وتتآمر على الجمهورية الإسلامية، وتتمثل إحدى وظائفها الأساسية مقابل المبالغ التي تتسلمها، بترويج الدعايات السيئة حول الثورة الإسلامية.

استمعوا الى إذاعات العالم لتعلموا كيف أنها تبث سمومها ضد الثورة الإسلامية، وكيف أنها تشوه الحقائق.

وإذا كانت الدول الإسلامية صادقة في ادعائها بأن منظمة المؤتمر الإسلامي جاءت للدفاع عن الإسلام، فلمَ لا تتصدى هذه المنظمة للدعايات المغرضة التي تقوم بها الصهيونية ضد الجمهورية الإسلامية؟

حسناً إننا لا نطلب من المنظمة أن ترد على هذه الدعايات، ولكن لماذا تحالفت وسائل إعلام أكثر الدول الإسلامية مع أعداء الإسلام، وراحت تطلق الدعايات ضد الثورة الإسلامية؟!

إن جميع المسلمين الحريصين على الإسلام والمؤمنين بالجمهورية الإسلامية، ملزمون بالتصدي لمثل هذه المؤامرات التي تحاك في العالم الإسلامي.

وأنتم أيها المفكرون والعلماء الإسلاميون، طالبوا بالتصدي لجميع المؤامرات التي تحاك في الدول الإسلامية ضد الجمهورية الإسلامية في إيران.

إننا على حق، وإذا كان من الممكن أن تقضي هذه المؤامرات على الجمهورية الإسلامية، لكننا قد متنا ـ الى اليوم ـ سبع مرات.

هذا ونحن في كل يوم يمر على عمر هذا النظام نحقق مكسباً جديداً، ونعلم بأن هذه المنجزات إنما تتحقق بفضل الله وعونه وتضحيات هذا الشعب الشجاع.

وعلى هذا الأساس فإن الاعتقاد بحاكمية الإسلام يجب أن يكون متزامناً مع الدفاع عن الجمهورية الإسلامية.

إنني آمل أن يتوصل الإخوة الأعزاء المشاركون في هذا المؤتمر الى نتائج جيدة بعونه تعالى.

إن هذا المؤتمر لهو ساحة جيدة للتدارس حول الحكومة الإسلامية. وإننا رغم تشكيلنا للحكومة الإسلامية، ما زلنا بحاجة لمثل هذه البحوث.

نسأل الله أن تتحقق الحكومة الإسلامية في الدول الإسلامية الأخرى. نحن أول تجربة في هذا المجال، ونأمل أن تغنينا التجارب القادمة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

القسم الثاني: الحكومة الإسلامية في ظل ولاية الفقيه

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله مالك الملك، خالق الخلق، باسط الرزق، فالق الإصباح، ديّان الدين، رب العالمين، والحمد لله على حلمه بعد علمه، وعلى طول أناته في غضبه وهو قادر على ما يريد. والصلاة والسلام على نبي الرحمة ورسول الهدى والسلام، وبشير رحمة الله ونذير نقمته، سيدنا ونبينا أبي القاسم محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وأصحابه المنتجبين .

قال الله الحكيم في كتابه {بسم الله الرحمن الرحيم يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتّبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد...} (ص،26).

أبدأ بالترحيب بضيوف "عشرة الفجر "وبالفضلاء والعلماء المشارين في هذا المؤتمر القيّم، وكذلك بجميع الإخوة المحترمين والأخوات المحترمات، أرحب بكم جميعاً أيها الأعزاء ..

يُعقد هذا المؤتمر في ظروف يمر العالم فيها بواحدة من أكبر أزماته التاريخية التي تؤدي عادة الى ظهور تطورات ضخمة، وهي أزمة تشتد تفاقماً يوماً بعد يوم .

لقد شهدت النظم الاجتماعية والأمم على امتداد التاريخ وفي فترات متباعدة حالات من هذا القبيل، وهي حالات ترى فيها الأمم الذكية وشخصياتها التي لها ما يكفي من الذكاء والفطنة بشائر ببزوغ يوم أفضل وحالة فضلى .

وعلى الرغم من أن الأزمة الحاضرة ـ بما فيها من مشقة وحرارة وثقل وظلام وصعوبة ـ لا تصيب عادة إلا الشعوب الضعيفة، وعلى الرغم من أن هذه الشعوب الضعيفة هي التي تتحمل التضحيات في خضم هذا التناحر العالمي العنيف والمتزايد، فإن موطن هذه الأزمة ومسقط رأسها في مكان آخر، إن بؤرة هذه الأزمة تقع في قلب النظم القائمة على المدنية المادية. إن أفضل المرض هناك، وأولئك هم المرضى الحقيقيون، وإن الخطر الحقيقي في نهاية المطاف يتهددهم هم .

في الواقع إن أخطار هذه الأزمة التي أشرت إليها إنما تهدد الأنظمة القائمة على الصناعة والمدنية المادية، وتلك الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية المبنية على الحضارة المادية والإيديولوجية المادية (شرقية كانت أم غربية). إن الزلزلة ستقع

هناك، على الرغم من أننا نشهد آثارها ومشاكلها وأزماتها وأمراضها، كما قلت، في أفريقيا وفي الشرق الأوسط وفي آسيا وفي بلدان أميركا الوسطى وأميركا اللاتينية. غير أن المرضى الحقيقيين هم أولئك، وأعراض المرض بادية عليهم، إنها إخفاق المدنية الصناعية المادية في إدارة أمور الإنسان، إنها الأمراض المستعصية المنتشرة في أوروبا وأميركا، كالتضخم والبطالة والفساد الاجتماعي المستحكم، وضروب من الاختلالات النفسية التي تزرع اليأس في الجيل الشاب وتشيع الخمول بين قوى المجتمع النشطة، وتجعلهم يركضون وراء التافهات من الأمور والخاويات من الأفكار، ومن ثم التحول الى الجريمة. هذه دلائل سوء في المجتمع، وظهورها في أي مجتمع دليل على أن ذلك المجتمع قد أصيب بالشلل، ولم يعد قادراً على إدارة شؤونه، وخاصة إذا عرفنا أن تلك الأمراض ليست سريعة الزوال، بل إن تلك المشاكل والاختلالات خرجت من نطاقها الضيق الخاص بالمحللين والمختصين الى حيث المؤسسات العامة والناس، ففضلاً عن كونهم يلمسون تلك الأمارات والآثار بكل وجودهم فإنهم يحسون بها في أفكارهم وعقولهم أيضاً، بما ينطبق تماماً مع الآية الشريفة {ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس...} (الروم،41 .(

هذه هي حصيلة ذلك الحطب الأخضر الذي باعه مؤسسو التمدن المادي، الغربيون والشرقيون، للناس والأجيال، إن دخانه اليوم يعمي عيونهم هم ويهددهم بالزوال والفناء .

غير أن الشعوب، من جهة أخرى، قد استيقظت، وهذا أمر مهم وجديد. إن هذه اليقظة تختلف عن يقظة الشعوب في أواسط النصف الأول وأواخره من القرن العشرين فيومئذ كان الناس يصحون، ويغادر المستعمرون البلاد المستعمرة، وتقام أنظمة أسمَوها بالأنظمة الوطنية أو الشعبية لتحل محل المستعمرين. إلا أن الخديعة التي ألبسوها على الناس، والمكر الذي مكروه بهم، قد زادا الناس خبرة وحنكة وشحذا ذكاءهم. إن يقظة المسلمين اليوم يقظة لا يقنعها غير القضاء جذرياً على المشكلات. إن اليقظة اليوم تتخذ وجهة واحدة، وهي الوقوف بوجه الظلم الذي ينزل بعض القوى الاستكبارية في العالم بالشعوب، وذلك هو جوهر القضية، وإن تكن الشعارات تختلف من حيث المكان واللسان .

إن شمال أفريقيا وجنوبها يغليان اليوم، ولكن بشعارات مختلفة ولغات متباينة، أما المطاليب فواحدة. في كلتا الجهتين يعلو الهتاف ضد النظم والحكومات، ضد التمييز العنصري في الجنوب وضد أمور أُخَر في الشمال .

إن أهالي مصر وأهالي أفريقيا الجنوبية يطالبون جميعاً بحكم عادل وباحترام الإنسان حيث يحتقر. إن الإنسان في مصر قد احتقر مثلما احتقر الإنسان في أفريقيا الجنوبية .

لقد هبّت الشعوب اليوم من نومتها، وقد رافقت يقظتها تجربة ناجحة بين شعوب العالم الثالث، تلك هي تجربة إيران الإسلامية .

إن من العوامل الرئيسية في يقظة الشعوب هو وجود نظام يستند الى حركة جماهيرية، ويعتمد مقاومة شجاعة لا تعرف الاستسلام للقوى العالمية. إنها جاذبية النظام الجمهوري الإسلامي التي تحيي الأمل في نفوس الشعوب، وكلما مضى يوم ونحن باقون، وهذا النظام باقٍ، والإسلام هو الحاكم الوحيد، ازداد هذا الأمل في الشعوب قوة ورسوخاً .

إن المحاباة لم يُقضَ عليها بعد، والمتشائمين لما تدخل الثقة في قلوبهم، إلا أن مرور الوقت كفيل بتحقيق ذلك، على أن يكون مرور الوقت هذا مصحوباً بحفظ المبادئ، إذ أننا إذا فقدنا مبادئنا نكون قد فقدنا هويتنا الثورية، وهو ما سوف يدعو الى زوال ثقة الشعوب التي تريد أن تجعل من إيران قدوة تقتدي بها .

هذه الظروف العجيبة تكشف عن عظم الكارثة التي تحيق بالقوى العظمى والناشئة عن ضعف أنظمتها القائمة على القوى العسكرية الغاشمة. أي أننا حتى لو افترضنا عدم وجود أي طرف معارض لتلك الأنظمة المتسلطة المادية في العالم، غربية وشرقية، فإنها لا بد لها من الإنهيار والسقوط بسبب بنيتها السقيمة والاختلال والنقص الموجودين في داخلها .

إن هذا النقص الذاتي والبناء المادي السريع العطب والسريع الزوال شبّهه الله تعالى بالكلمة الخبيثة بقوله {ومَثَلُ كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتُثّت من فوق الأرض ما لها من قرار} (إبراهيم، 26 .(

فهي أنظمة غير باقية، لأن تلك الكلمة الخبيثة تفتقر الى الإمكانية الذاتية على البقاء، خاصة وأن الشعوب المظلومة والمستضعفة قد سارعت الى إعلان معارضتها لتلك النظم المادية، كالذي نراه في أفريقيا والشرق الأوسط، في لبنان وفي جنوب آسيا وفي كل مكان في العالم حيث يوجد شعب مستضعف، وهي اليوم أشد من أي وقت مضى. إن ما يعتبر قدوة للشعوب هو النظام الجمهوري الإسلامي، وما من نظام آخر تتخذه الشعوب قدوة لها اليوم. في الماضي كانت هناك نظم لفتت أنظار الشعوب التي كانت تريد صنع نفسها ومستقبلها، أما اليوم فلا. إن البقعة النيّرة التي تتطلع إليها الشعوب وهي تناضل وتضحي وتخاطر بحياتها، هي نظام الجمهورية الإسلامية .والمسلمون من تلك الشعوب أقرب الى ذلك بطبيعة الحال. وذلك لأن المسلمين يرَون أن شخصيتهم الإسلامية المضطهدة المحتقرة قد برزت اليوم في صورة نظام شجاع، مهاجم، مقدام، تقدّمي، مجرِّب، ولذلك فإنهم يشعرون بالعزة والفخر .

ظلت الهوية الإسلامية عرضة للمهانة والتحقير سنوات طويلة. وقد أريدَ للمسلمين أن يتركوا هذه الهوية وينبذوها لأنها مجرد خرافة زائدة .

إن الذين استسلموا للضغط وهجروا هويتهم الإسلامية، يشعرون اليوم بالثورة في أعماقهم، وهم يرَون تلك القيم التي اعتبروها قيماً سلبية غدت اليوم قيماً إيجابية فعالة أثبتت وجودها النشط على الصعيد العالمي الواسع. إنهم يحسون بالحاجة الى العودة الى تلك القيم. وهذا هو السبب في ما نشهده اليوم من أن المتنورين، الذي تنكروا للإسلام، عادوا يزحفون نحو القرآن والإسلام الصحيح في كثير من دول العالم، فضلاً عن الشعوب والجماهير المستضعفة التي بقيت محافظة على هويتها الإسلامية والحيوية، وفعالة في إيجابيتها، وشجاعة في مواجهة القوى العظمى، وثابتة لا يعتريها الكلل، ونامية كالكوثر في العطاء، لا يعود يخامرهم الشك لحظة في أن هذه الهوية قيّمة، فيتجهون نحوها، مدركين أنها مصداق الآية {إنا أعطيناك الكوثر. فصلّ لربك وانحر. إن شانئك هو الأبتر}. ذلكم هو الدليل على أن التاريخ يعيد نفسه، فاليوم ذلك التمدن نفسه يطعن القيم الإسلامية والإيمانية، إنه هو "الأبتر"، هو المنتهي الذي لا عقب له. إن الأمة الإسلامية تحس بهذا كله، ولكنه إحساس ليس مقتصراً على الأمة الإسلامية، فالأمم غير المسلمة تحس الإحساس نفسه، وهم كذلك يحبون النظام القوي المقتدر المقاوم لقد أتعبتهم السلطة، ولا فرق بين السلطات فالسلطة الظالمة سيئة بصرف النظر عن نوع النظام الذي تمثله. لذلك فإننا نشهد اليوم التوجه نحو الإسلام وإيران الإسلامية والجمهورية الإسلامية والثورة الإسلامية وشعارات هذه الثورة في بلدان هي تحت سيطرة الشرق والغرب. إننا نشهد هذا الميل فيهم بكل وضوح وثبات؛ ولا يختلف الأمر مع أولئك الذين نادَوا بالشعارات الاشتراكية في بلدانهم، فهم بعد أن أدركوا فراغ أنظمتهم وضعفها وهشاشتها لكونها بُنِيت على تلك الشعارات، التفتوا بميولهم نحو ذلك النظام المقتدر الصلب المقاوم؛ ذلك هو نظامكم، نظام الجمهورية الإسلامية .

إنكم وفي مثل هذه الظروف يدور بحثكم حول الحكومة الإسلامية، إنكم تحسبونه بحثاً جافاً، ولكنه ليس بحثاً عقلياً مجرداً. إن البحث في الحكومة من أكثر البحوث واقعية وعملية مما يمكن أن يجري بحثها في العالم .

الحكومة في النظام الإسلامي تعتبر العمود الفقري والدماغ والقلب ومقر قيادة الجسم ومصدر الأوامر للأعصاب، ذلك لأنها أحد العناصر الثلاثة المهمة التي يتألف منها النظام الاجتماعي في النظام الإسلامي. وهذه العناصر الثلاثة هي: الحاكم، والقانون والناس، فالحكومة تأتي على رأس هذه العناصر الثلاثة. ليس من الممكن أن نفكر بإقامة نظام إسلامي من دون أن نفكر في الحاكم وفي شكل نظامه .

إذا ما ادُّعيَ أنه نظام إسلامي، فإن خير محك لهذا الزعم هو أن ننظر الى حاكمه، وهذا أقرب محك الى متناول اليد. كيف يصح أن يكون الإسلام هو نظام الحياة في بلد ما ثم يكون أهم قسم من هذا النظام ورأسه، وهو الحكومة، بعيداً عن استلهام الأحكام الإسلامية، ولم يتشكل بالشكل الإسلامي؟ إننا إذا أردنا أن نبحث في الحاكم والحكومة علينا أن نبحث بكل دقة وإنعام نظر، ذلك لأن هذا الموضوع يقع اليوم هدفاً للهجوم. إن من المهم للأجيال القادمة ولسائر جماهير العالم أن تعرف أن الإسلام وتحقق نظامه على صعيد الواقع ليس هو وحده الذي يتعرض للتهجم وإخصام على يد القوى العظمى وأعدائه، إنهم يهاجمون حتى وجوده الذهني في الأفكار، إنهم يحاربونه في كل جبهة تظهر فيها حكومة إسلامية، وها هي أمامكم إيران الإسلامية كمثال على ذلك. إن قوى العالم بلا استثناء لم تترك وسيلة تؤذي بها هذا البلد وهذا الشعب وهذه الحكومة وهذا النظام إلا استعملتها، ولم تترك طريقاً لإظهار العداء لهذا البلد وهذه الأمة إلا سلكته، بما في ذلك حياكة المؤامرات، والحرب، والاعتداء العسكري، ونشر الشائعات والأراجيف، والمقاطعة الاقتصادية. هذه كلها كانت كافية لتطيح بأي نظام آخر. غير أن مناعة هذا النظام ناشئة من القرآن الذي حفظه من الإنحراف يساراً أو يميناً لاستمالة فريق من الناس .

هذه الهجمات قد وجهت الى وجود الحكومة الإسلامية العيني. إلا أن مهاجمتها في وجودها الفكري لا يقل عن ذلك عنفاً، ويتمثل هذا في تحريف مفهوم الحكم الإسلامي. وهو ليس بالأمر الجديد، فقد كان على امتداد التاريخ. فباسم الحكم الإسلامي وإمامة المسلمين، في عهد السلاطين العباسيين والأمويين، حدثت أمور ضد "أئمة العدل" كما يصفهم الشاعر الإسلامي المجاهد "الكميت الأسدي" في إحدى قصائده التي يقول

فيها:

ساسة لا كمَن يرى رعية الـ ـنـاس سواء ورعية الأنعـام

من هذا يبدو أن الذين كانوا على رأس الحكم يومذاك، والذين يعرّض بهم الكميت، كانوا لا يميزون بين رعي الناس ورعي الأنعام، ومنذ ذلك اليوم أناس ارتكبوا مثل تلك الأعمال باسم حكم الإسلام والحكومة الإسلامية، واليوم ما يزال هذا التحريف في مفهوم حكم الإسلام باقياً في الأذهان بشكل أو بآخر .

لقد أثار عالم اليوم الكثير من اللغط حول تحريف مفهوم الحكومة الإسلامية. فمرة يشبّهونها بالحكم الكنسي في الفترة المظلمة من تاريخ أوروبا، ومرة يقولون إنها حكم رجعي ومتخلف لا يؤمن بالتطور ومرة ثالثة أنها ضد العلم، ورابعة أنها ضد المدنية، أو يسمونها بأنها تعارض حقوق المرأة التي تؤلف نصف سكان المعمورة، لو أنهم استطاعوا بكلمة واحدة أن يدخلوا في الأذهان أن النظام الإسلامي يعارض منح المرأة حقوقها، لتمكنوا من إثارة نصف سكان العالم ضد هذا النظام، وإذا ما صدّقت النسوة بهذا فمن البديهي أنهن لن يقفن الى جانبه .

كثيرة تلك الأساليب التي مارسوها والتهم التي ألصقوها بالنظام الإسلامي والحكومة الإسلامية لتحريف حقيقة الإسلام، ولهذا كان لا بد من القيام بعمل جاد في هذا السبيل. إن الآيات القرآنية كثيرة بهذا الشأن، وكذلك المصادر الإسلامية أيضاً، فعلى المفكرين الإسلاميين والعلماء المسلمين أن يشمّروا عن ساعد العمل، فلو أنهم تناولوا هذه المسألة وحدها بالشرح والتوضيح، لكان له أثر كبير في تهيئة عقول الأمم والشعوب لمعرفة الحق. وهذا ما حدث فعلاً في بلدنا، فخلال الخمس عشرة سنة من نضالنا الثقافي والسياسي كانت أشد ضربة أنزلناها بالتصورات التي أشاعها النظام الشاهنشاهي السابق هي بحث الحكومة الإسلامية وشرحها، سواء في الدروس التي كان يلقيها إمام الأمة في النجف الأشرف، أم في البحوث التي دارت حول هذه المسألة كمقدمة لها، فكانت هذه تدخل في أعماق مجتمعنا، يتناولونها بالدرس والفهم والاستيعاب. إن البحث في هذه القضية مهم وينبغي أن لا نستصغر شأنه. إننا في هذا النظام الجمهوري أقمنا الحكومة الإسلامية، وإن لم ندَّع أنها أقيمت بصورتها المتكاملة، ولكننا ندّعي بأننا نتخذ الاحتياطات التامة للتقيد بتطبيق أحكام القرآن، وإننا ندرك أن الحركة نحو تكميل هذا النظام حركة تدريجية، وإننا سائرون على الدرب نحوه، إذ أن هناك الكثير من المسائل لم نحلها بعد .

إن أول مسألة برزت أمامنا في باب الحكومة في نظام جمهوري إسلامي، وارتسمت في أذهاننا جميعاً باعتبارها شعاراً إسلامياً وعَلَماً من أعلام الحكم الإسلامي، هي القول بأن الإنسان قد ولد بطبيعته حراً، وليس هناك تحت الشمس إنسان يحق له أن يحكم إنساناً آخر. وكان هذا في نظرنا جزءاً من البديهيات والمسلّمات الإسلامية. والأمر كذلك أيضاً في النصوص الإسلامية، فقد جاء في الآية الكريمة {وتلك نعمةٌ تمنّها عليّ أن عبَّدت بني إسرائيل} (الشعراء، 22)، وكذلك ورد عن أمير المؤمنين علي (ع) قوله "لا تكن عبدَ غيرك وقد جعلك الله حراً ."

وهذا هو مضمون آيات قرآنية متوافرة ومتواترة. وفي هذه الآية التي ترد على لسان موسى (ع) مخاطباً فرعون، القصد من تعبيد بني إسرائيل هو التسلط عليهم وحكمهم واضطهادهم دون اهتمام بمشاعرهم. إن الإسلام يمنع كل أنواع التسلط المعنوي والمادي على الناس، ما دامت هذه السلطة غير منتهية الى الله. يقول الله سبحانه {إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أُمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون} (التوبة، 31 .(

أي أن سلطة الأحبار والرهبان الفكرية والروحية تعتبر ربوبية، فهي ممنوعة. كذلك سلطة فرعون المادية سلطة ربوبية ممنوعة .

إن الحكم على الناس لله وحده سبحانه، كما جاء في الآية الثانية على لسان يوسف (ع) {... إنِ الحكم إلا لله أمَرَ ألاّ تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيِّم ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون} (يوسف، 40 .(

ولعل السبب في أن أكثر الناس لا يعلمون هو أنهم قد اعتادوا على غير ذلك، إنهم اعتادوا على أن يحكمهم أفراد من البشر فليس بمقدورهم أن يتصوروا أن أياً من البشر، مهما تكن قدرته وثروته، ومهما يكن شرف قبيلته ونبل نسبه، لا يمكن أن يتسلط على جمع من البشر ويحكمهم {ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون .{

وفي الآية التي أوردتها في صدر كلامي، يخاطب الله سبحانه وتعالى داود (ع) قائلاً {يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض} أي لولا "الإرادة" الإلهية في "جعل" داود خليفة، لما كان لداود الحق في هذا على الرغم من كل فضائله ومقامه .

وفيما يتعلق بالأنبياء جاء في سورة البقرة {كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه...} (البقرة، 213 .(ههنا تعيّن أن النبي يحكم بين الناس لا بحسب ما يهوى ويشتهي بل وفق الكتاب، فهو الحاكم وهو ميزان الحكم. إن هيكل النظام العام يقرره كتاب الله، والنبي قد "جعله" الله القائم بتنفيذ ما جاء في الكتاب. وهذا هو المبدأ الثاني من مبادئنا المقبولة عندنا .

أي أننا بعد أن قبلنا بأن أفراد البشر لا حق لهم في أن يحكم بعضهم بعضاً وأن كل حكم من هذا القبيل لا ينتهي الى الله يكون حكماً غاصباً وغير منطقي، نعود لنبحث عما يجب أن يعتمده الحاكم الإلهي عند الحكم، وهو كتاب الله، وهذا هو "القانون" الذي يعتبر العنصر الثاني من العناصر الثلاثة في الحكومة الإسلامية والنظام الإسلامي .فالحكم يجب أن يكون على وفق ما جاء في كتاب الله .

والحاكمون هم الأنبياء الذين نصّبهم الله، أو الأوصياء الذين ينصّبهم النبي. أما عندما لا يكون هناك حاكم نصّبه رسول الله (ص)، كزماننا هذا، فلا موجب للاختلاف حول إمام منصوب بين القائلين بنصب خليفة بعد رسول الله (ص) والقائلين بعدم نصب خليفة بعده .لم يعد اليوم معنى في وجود ذلك الاختلاف حول العثور على الحاكم الإسلامي، لأننا سواء أقلنا بالتنصيب أم لم نقل، فإن الإمام الحاكم المنصوب لا وجود له، فعلينا أن نبحث عن المعيار .

ترى ما هي تلك المعايير التي إذا توفرت في فرد حقَّ له أن يحكم من قبل الله. إن مثل هذا الفرد يجب أن يحكم بكتاب الله، ويجب أن يكون عالماً بالكتاب إذ لا يمكن أن يحكم بكتاب الله مَن لم يكن عالماً به، ولـمّـا كان عليه أن يربي الناس ويهذبهم - وهذا من شؤون الأنبياء، وعلى الحاكم الإسلامي أن يكون كذلك أيضاً - فلا بد أن يكون هو نفسه قد تربى وتهذب، ولهذا تجب مراعاة العلم والعدالة في الحاكم الإسلامي. إن الإمام أو القائد - وهو تعبير دقيق وكامل عن الحاكم الإسلامي - لا بد وأن يكون عالماً بكتاب الله، أي يجب أن يكون متفقهاً في الدين، ولا بد وأن يكون عادلاً، لا يتّبع هوى نفسه، ذلك لأن الله تعالى أمر نبيه داود)وسائر الأنبياء) قائلاً به {ولا تتّبع الهوى فيُضلّك عن سبيل الله} لأن اتّباع الهوى هو أصل الفساد في المجتمعات، وبناءاً على ذلك فلا بد للحاكم الإسلامي من أن يتجنب الوقوع تحت تأثير هوى نفسه، وهذا لا يكون إلا بالعدالة، فتكون نفسه مصونة عن الميل الى الدنيا، فلا تجذبها المطامح الدنيوية .

هذه الشروط والمؤهلات لم ترد بصورة تفصيلية في النصوص الإسلامية ولا في الكتاب والسنّة، إنما هي: حكومة الفقيه وولاية الفقيه التي اخترناها محوراً وقاعدة لبناء نظامنا الجمهوري وأعلنّا عنها. حكومة الفقيه هي حكومة العالم بعلم الكتاب، العالم بالدين، ولكن لا كل فقيه، فالعالم الذي يقع تحت تأثير هوى نفسه لا يمكن أن يدير شؤون البلاد، وبالإضافة الى العلم والتهذيب، أو العلم والعدالة، لا بد وأن تكون له القابلية على الإدارة، وهذا شرط عقلي، كما جاء في القرآن الكريم في حكاية طالوت {... إن الله قد بعث لكم طالوت مَلِكاً قالوا أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤتَ سَعَةً من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم...} (البقرة، 247)، وبديهي أن البسطة في الجسم لا تعني القوة الجسمية والبنية السليمة فحسب بل لعلها تعني أيضاً العقل السليم والقدرة على الإضطلاع بأعمال الإدارة، وحتى لو لم تعنِ ذلك فإنها شرط لا بد منه .

هذه أمور نرى لزوم توفرها في الحاكم وعلى أساسها تم اختيار الحاكم، فالولي الفقيه أو ولاية الفقيه مبنية على هذا الأساس، وبموجبه اختير الولي .

وهكذا نكون قد وجدنا الحل لقضية الحاكم والقانون، فالحاكم هو ذلك الإنسان الذي اختير على وفق المعايير والموازين، وهي موجودة في القرآن. والقانون هو ما أشير إليه في القرآن وما وجب حتى على الأنبياء اتّباعه دون أن يصدروا حكماً من عندهم؛ فالكتاب فيه قوانين الدين والوحي الإلهي .

العنصر الثالث هو الناس، أترانا في النظام الإسلامي قد أهملنا الناس؟ كلاً أبداً، فالناس عنصر رئيسي في النظام، هم الذين ينتخبون، وهم الذين يعيّنون، وهم الذين يرجع إليهم في التشاور وفي اتخاذ القرارات. إن الناس في الواقع هم أصحاب الاختيار والاختيار حقيقة موجودة .

إن في انتخاباتنا اختلافاً مبدئياً عن الانتخابات الديمقراطية الغربية ـ وإن كانت التسمية تُطلق عليهما كليهما ـ وهي تختلف عن الديمقراطية الشرقية اختلافاً رئيسياً أيضاً، على الرغم من أنها في ظاهرها انتخابات ديمقراطية .

في الديمقراطية الغربية يحق لجميع الناس أن يشتركوا في الانتخابات وأن ينتخبوا مَن شاؤوا، أي لا وجود لشروط خاصة في المنتخَب؛ فإذا استطاع شخص فاسد أو فاسق أو ضعيف أن يعلن عن نفسه، بالمال أو بالإغراء، فيحرز أصوات بعض الناس، فإن النظام لا اعتراض له على ذلك. أما في النظام الإسلامي فالأمر ليس كذلك، فثمة شروط لا بد وأن تتوفر في المنتخبين، والناس ينتخبون ممن تتوفر فيهم تلك الشروط أو الموازين، ومَن لا تنطبق عليه تلك الموازين لا يرشح للانتخاب .

أما في الديمقراطية الشرقية فالأمر أسوأ، إذ أن الانتخابات لا تجري بين الناس جميعاً، فحق الانتخاب مقصور على أعضاء الحزب. بل يمكن القول في كثير من الحالات إنه حتى أعضاء الحزب لا يحق لهم الانتخاب، بل إنه مقصور على كبار النخبة من الأعضاء فقط .

أما في نظام الجمهورية الإسلامية فالانتخاب حق للجميع، أو للأكثرية القريبة من الإجماع، فيما يتعلق بانتخاب القائد، على شرط أن يكون فقيهاً عادلاً وحائزاً على الشروط الأخَر، كالقدرة والإدارة والتدبير والإيمان بخط الثورة الإسلامية وغير ذلك مما هو مدوَّن في دستور الجمهورية الإسلامية المعمول به حتى الآن، فالناس ينتخبون واحداً من بين هؤلاء، ومَن يفز بأكثرية أصوات الناخبين المطلقة يكن هو القائد للأمة .

أما بالنسبة للحكم فللناس دورهم في انتخاب مجموعة لنظام كامل، كما أن للقيم دورها، وللأحكام الإلهية دورها أيضاً. وهذا هو النظام النبوي. ذلك أننا عندما ندرس تاريخ الأنبياء نجد أن أهم عمل قاموا به هو التعليم والتزكية وإدارة شؤون المجتمع. هذه هي الأعمال الثلاثة التي كان الأنبياء يضطلعون بها: تعليم الناس المعارف الإلهية، والمنظور الإسلامي، والأحكام الإلهية، وتربيتهم، وتزكيتهم، ورعاية مواهبهم، وإعداد الناس لكي يديروا شؤونهم بأنفسهم، ومن ثم إدارة شؤون المجتمع الذي تكون إدارته من شؤون الأنبياء، ما دام فيهم نبي، بحسب الحكم الإلهي .

إن لدينا اليوم هذا النموذج، ولكن كما قلت هنالك بون بين هذا النموذج وما يمكن أن يكونه النموذج الثالث، إلا أن هذا البون ينبغي أن يتضاءل يوماً بعد يوم، وأن تردم الهوة التي تفصل بينهما حتى يتطابقا معاً .

لقد كنا نعلم بالطبع أن مجرد وجود نظام كهذا سيؤلب علينا القوى العظمى والسلطات الاستكبارية، وكنا ننتظر حملاتها، وما زلنا ننتظرها حتى الآن. لم يخطر لنا ببال أن القوى العظمى في العالم سوف ترفع أيديها الأثيمة بسرعة عن هذا النموذج الإسلامي الحي، ولا نحن نتوقع ذلك منها، بل الذي نتوقعه هو استمرارها في التهجم والهجوم، بمثلما كان الحال في صدر الإسلام كما جاء في القرآن الكريم {ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصَدَق الله ورسوله {..)الأحزاب، 22 .(

فهم لم يستغربوا حشود الأحزاب لأنهم كانوا يتوقعونها. ونحن اليوم كذلك، فكلما ازدادت حساسية الاستكبار الشرقي والغربي من جهتنا وازداد تكالبه علينا، زاد إيماننا بحقانيتنا وبأننا خطر حقيقي على الاستكبار العالمي، ولذلك راح يلقي بثقله ضدنا.

واليوم وبعد أن وصل تكالب الاستكبار علينا الى أقصى درجاته، فقد وصل إيماننا ـ بفضل الله ـ الى أقصى درجاته أيضاً.

ها أنتم اليوم أمام هذا النموذج العيني القائم لنظام حكومة إسلامية يمكن تحليلها، وها هي مسألة مهمة يمكن فيها للإخوة والأخوات المشاركين والمشاركات في هذا المحفل، والعلماء الأجلاء المحترمين في الجلسة، أن تتظافر مساعيهم لتحليل هذه المسألة على أحسن وجه، ففي ذلك عون لنا على إيصال نظامنا الى الكمال، وستكون حصيلة هذه التحليلات موضع التطبيق عندنا، كما أن فيه أيضاً تنويراً لسائر الأمم.

إنني أطلب وأرجو من العلماء المحترمين والخطباء والمتنورين في الدول الإسلامية في العالم أن يتناولوا موضوع الحكومة الإسلامية بالشرح والتوضيح للناس، فهذا من أهم المواضيع التي يجب أن تُدرس وتُبلّغ لعموم الناس. عليهم أن يبيّنوا للناس مدى المسافة التي تفصل واقع الحياة حولهم عن الحقيقة التي يريدها الإسلام ويريدها الله.

إن هذا هو الذي يحدو بنا الى أن نقدّر هذا الاجتماع الجليل القيّم وأن نجلّه، سائلين الله تعالى أن يوفقكم، أيها الإخوة وأيتها الأخوات، آملين أن تعرض في جلساته العامة وفي لجانه في أيام انعقاده بحوث نافعة تعمل على تحسين المعرفة بالقضايا الخاصة بالحكومة الإسلامية.

مرة أخرى أرحب بضيوفنا الأعزاء، وعلى الأخص ضيوفنا الأجانب من الدول الإسلامية وغيرها ممن تفضلوا بقبول دعوتنا للمشاركة في هذا المؤتمر، وكذلك أرحب بضيوف عشرة الفجر، سائلاً الله تعالى التوفيق لكم جميعاً أيها الأعزة، وكذلك للقائمين على أمر هذا المؤتمر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الأطهرين المنتجبين وصحبه المهتدين..

إن مسألة حقوق الإنسان هي إحدى المسائل الأساسية المهمة، كما أنها من أكثر قضايا الإنسان حساسية، فقد اتخذت في العقود الأخيرة أبعاداً سياسية فضلاً عن أبعادها الأخلاقية والحقوقية. ومع أن تدخل الأهداف السياسية والتكتلات والمواقف السياسية قد وضع عقبات ومشاكل عديدة أمام الطرح الصحيح لهذه المسألة، إلا أن كل ذلك يجب أن لا يثني المفكرين والمهتمين بالأمر عن مواصلة دراسة حقوق الإنسان وحل مشكلاتها.

وفي الغرب هذه المسألة قد تم إحياؤها من قبل المفكرين، فهي ومنذ نحو مئتي عام تتصدر قائمة المسائل السياسية والاجتماعية للعالم الغربي، حتى أضحت مسألة مهمة نجد بصماتها على الكثير من الانقلابات والتغييرات السياسية والاجتماعية.

وقد بلغ هذا الاهتمام الغربي ذروته خلال العقود الأخيرة، فكان صدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وتأسيس منظمة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية مصداقاً عينياً للاهتمام بقضية حقوق الإنسان في العالم، ويمكننا اتخاذ هذا المصداق مقياساً نستند إليه في تحليلنا وحكمنا على ما سمعناه من شعارات وضجيج عن حقوق الإنسان خلال المئتي عام الأخيرة، وخاصة خلال العقود الأخيرة.

وطبيعي أننا نحن المسلمين نعلم جيداً أنه إذا كان الغرب قد أولى هذه المسألة اهتماماً كبيراً خلال العقود الماضية، فإن الإسلام كان قد اهتم بها وبأبعادها الواسعة والشاملة منذ قرون عديدة. فقد عالجها بشكل أساسي وجذري، وهذا ما نلاحظه في الكتب والآثار الإسلامية الموجودة والتي لسنا بحاجة الى تفصيلها الآن ما دمنا نتحدث الى جمع من المسلمين.

إن الآيات القرآنية والأحاديث الواردة عن الرسول الأكرم والأئمة (عليهم السلام) أكدت جميع حقوق الإنسان التي تنبّه إليها العالم واهتم بها خلال العهود الأخيرة، وهي تحظى دوماً باهتمام المسلمين والعلماء، وهم ليسوا بحاجة الى التذكير بها وتكرارها. وفي ختام حديثي، سأذكّر بأن على المجتمع الإسلامي اليوم مسؤولية تعريف العالم بهذه الحقيقة الإسلامية الوضّاءة لكي لا يدع هذه الأصالة الإسلامية تضيع وسط أعاصير الضجيج والأجواء السياسية المفتعلة على الصعيد العالمي.

هنا تطرح عدة أسئلة نفسها، وتشكل الإجابة عنها، هدفنا من هذا البحث. من المؤكد، أيها المفكرون والباحثون، أنكم ستقدمون خلال هذا المؤتمر بحوثاً عميقة ونافعة حول الجوانب والأبعاد المختلفة لحقوق الإنسان، وهذا بحد ذاته سيكون ذخراً للعالم الإسلامي يمكّنه من الإطلاع على الموضوع من منظار إسلامي.

السؤال الأول هو: هل كانت المحاولات التي جرت خلال القرنين الماضيين، وخاصة خلال نصف القرن الأخير، منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الآن وتحت اسم حقوق الإنسان، موفقة أم لا؟ وهل استطاعت كل هذه التصريحات والاجتماعات والمؤتمرات من جانب هيئة الأمم المتحدة والإذاعات حول حقوق الإنسان أن توصل البشر الى حقوقهم الحقة؟ أو في الأقل هل استطاعت إعطاء الإنسان الجزء الأكبر من حقوقه؟ إن الإجابة عن هذا السؤال ليست صعبة، فمجرد الإطلاع على حقائق عالمنا اليوم، يكفي لإثبات إخفاق كل ما بذل في هذا المجال لحد الآن، ونظرة عابرة لوضع المجتمعات المتخلفة التي تشكل النسبة الأكبر من سكان العالم ستثبت لنا أن أكثر البشر لم يحصلوا خلال نصف القرن الأخير على حقوقهم، وليس هذا فحسب بل إن أساليب سلب حقوق الإنسان والشعوب المحرومة قد تطورت وتعقدت وأصبح من الصعب علاجها. نحن لا يمكننا تقبّل ادعاءات منظمات

حقوق الإنسان ولا ادعاءات هؤلاء الذين يدّعون مناصرة حقوق الإنسان، بينما نحن نشاهد الواقع المر لشعوب أفريقيا وآسيا، وجوع ملايين البشر، وحرمان العديد من الشعوب من أبسط حقوقها الاجتماعية. إن هؤلاء الذين رفعوا عقيرتهم خلال الأربعين عاماً الماضية دفاعاً عن حقوق الإنسان إنما هم أنفسهم قد سلبوا ولا زالوا يسلبون حقوق الشعوب المحرومة في العالم الثالث، واليوم نشاهد حكومات وأنظمة تسلّمت السلطة في العالم الثالث تستند الى تلك القوى نفسها وتنتهج طريقها نفسه في انتهاك حقوق الإنسان في بلدانها.

إن الحكام الجبابرة الذين كثر عددهم خلال نصف القرن الأخير في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية، لا يستطيعون انتهاج الدكتاتورية دون الاعتماد على القوى الكبرى في العالم، والقوى الكبرى هي نفسها التي ترفع عقيرتها دوماً بشعارات الدفاع عن حقوق الإنسان، وهي التي أسست الأمم المتحدة التي لا زالت حتى اليوم خاضعة لسيطرتها.

إن تفشي الفقر والجوع والموت في العديد من دول العالم، إنما هو نتيجة التدخل والظلم والإغتصاب الذي تقوم به هذه القوى. فمَن الذي أوصل أفريقيا المليئة بالخيرات الى ما هي عليه اليوم؟ ومَن الذي استغل شعبي بنغلادش والهند لسنوات طوال وأوصلهما الى هذا الوضع بحيث يتفشى فيهما الجوع والموت بينما تملكان من الخيرات والبركات ما شاء الله؟

ومَن الذي ينهب ثروات دول العالم الثالث ويطوّر تكنولوجيته وصناعته ويجمع الأموال الطائلة على حساب الفقراء والجياع في هذه الدول؟

إن الذين أسسوا منظمة الأمم المتحدة، وأصدروا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والذين يواصلون اليوم وبكل صلافة الإدعاء بالدفاع عن هذه الحقوق، هم أنفسهم سبب معاناة الشعوب وتعاستها، وإلا فلماذا تبقى أفريقيا الغنية بالثروات والموارد الطبيعية، وأميركا اللاتينية المليئة بالثروات الطبيعية، والهند الكبيرة الواسعة، ودول العالم الثالث التي تمتلك كل هذه الطاقات البشرية والثروات الطبيعية، لماذا تبقى كل هذه المناطق متخلفة عن مواكبة ركب التطور والتقدم؟

إن الذي يحكم العالم اليوم، هم أصحاب المال والقدرة الذين وضعوا بأنفسهم أسس الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وها نحن نرى الوضع المأسوي الذي تعاني منه الشعوب وهي ترزح تحت نير تسلّط هذه القوى ونهبها لها.

منظمة الأمم المتحدة التي تعتبر ثمرة كل الجهود الرامية الى حفظ حقوق الإنسان، ما الذي عملته للشعوب، وماذا تفعل اليوم؟ وفي أية قضية سياسية أو كارثة كبرى أصابت الشعوب استطاعت هذه المنظمة أن تلعب دوراً فعالاً وإيجابياً؟ ومتى نهضت هذه المنظمة لدعم المظلوم؟ ومتى استطاعت هذه المنظمة منع القوى الكبرى من مواصلة سياساتها الظالمة؟ إن هذه المنظمة أكثر تخلفاً من الكثير من الدول والشعوب. فعلى الرغم من كل هذه الإدعاءات، فإنكم تشاهدون في أفريقيا اليوم نظاماً عنصرياً، بل إنكم تشاهدون التمييز العنصري داخل الدول المتقدمة نفسها. إذاً فمنظمة الأمم المتحدة لم تفعل شيئاً من أجل حقوق الإنسان، إذ قُصر دورها في المشاكل العالمية على التوصيات والإرشادات فقط كما تفعل أية كنيسة.

وفي منظمة الأمم المتحدة، يوجد مجلس الأمن الدولي الذي يعتبر النواة المركزية للمنظمة ومركز القرار، وفيه تمتلك الدول الكبرى حق النقض (الفيتو) فتستطيع الدول الكبرى نقض أي قرار يتخذه المجلس ضد المتسببين في إضعاف الشعوب وإبقائها متخلفة. إن منظمة الأمم المتحدة وكل المنظمات التابعة لها، سواء أكانت ثقافية أم اقتصادية أم فنية أم غيرها.. خاضعة لتأثير القوى الكبرى. وقد شاهدتم الضغوط التي مارستها أميركا ضد منظمة اليونسكو الثقافية بسبب مجيء رجل مسلم الى رئاسة المنظمة يسعى الى إبقائها مستقلة؛ فقد شاهدتم خلال السنتين الماضيتين حجم الضغوط التي مارستها أميركا ضد هذه المنظمة ورئيسها.

إذاً فالأمم المتحدة، باعتبارها ثمرة كل الجهود التي بذلت من أجل حقوق الإنسان، تراها اليوم عقيمة لا فائدة منها، بل إنها تتصرف أحياناً وكأنها ملك للقوى الكبرى. ومع ذلك فإننا لا نرفض وجود الأمم المتحدة أساساً، بل نعتقد أنها يجب أن تبقى، ولكن يجب أن يجري إصلاحها، فنحن أيضاً عضو فيها. والذي أريد قوله هو إنه بعد كل تلك الجهود والضجيج والإدعاءات، وبعد كل تلك الآمال التي عُقدت

على هذه المنظمة، نشاهد اليوم مدى عجز هذه المنظمة عن تأمين حقوق الإنسان، وهكذا فقط اتضحت الإجابة عن السؤال الأول، إذ يمكننا القول: إن الجهود التي بُذلت من أجل حقوق الإنسان خلال القرون الأخيرة قد باءت جميعها بالإخفاق.

السؤال الثاني هو: هل كانت كل هذه الجهود صادقة ومخلصة؟

من الواضح أن هذا سؤال تاريخي قد لا تكون له آثاره العملية، ولهذا فلن نطيل البحث والتفصيل فيه، ونكتفي بالقول إن أغلب هذه الجهود لم تكن مخلصة. صحيح أنه كان من بين المتصدين لهذا الأمر مفكرون وفلاسفة ومصلحون، إلا أن السياسيين كانوا يتحكمون بكل شيء حتى أن جهود بعض المصلحين أصبحت بالنتيجة تصب في مصلحة تجار السياسة. ففي الماضي، كان الذين يطلقون نداءات الدفاع عن حقوق الإنسان هم الأنبياء والحكماء وأمثالهم، أما اليوم فنشاهد هذه النداءات تصدر عن السياسيين، ولهذا فمن حقنا أن نشك في صدقها وإخلاصها. أنظروا مَن الذي ينادي بحقوق الإنسان اليوم، فالرئيس الأميركي السابق إتخذ من ضمان حقوق الإنسان شعاراً ليصل بواسطته الى الرئاسة، وفي أيام رئاسته الأولى كان يظهر من أحاديثه وتصريحاته أنه يريد العمل بجد بهذا الخصوص، إلا أنه وقف في النهاية الى جانب أظلم الحكام المعارضين لحقوق الإنسان وأقساهم وأشرسهم في المنطقة، فقد وقف الى جانب الشاه والصهاينة المتسلطين على فلسطين وسائر المستبدين المعروفين في هذا العصر.

إن الحكام ورجال السياسة الذين يرفعون عقيرتهم اليوم بالدفاع عن حقوق الإنسان في المؤتمرات والمحافل الدولية، ليسوا بأفضل ممن سبقوهم إذ أننا لا نشاهد الصدق والإخلاص في تحركاتهم. فالذين وضعوا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وعلى رأسهم أميركا، كانوا يسعَون الى فرض سلطتهم وهيمنتهم على العالم. إن هؤلاء هم أنفسهم الذين قتلوا عشرات الآلاف من البشر بالقنبلة الذرية، وهم أنفسهم الذين زجّوا بأبناء الهند والجزائر وأفريقيا في جيوش تخوض حروباً لا علاقة لها بهذه الدول من قريب ولا من بعيد. نعم إننا لا يمكن أن نصدّق أبداً أن روزفلت وتشرشل وستالين وأمثالهم قد فكروا

يوماً بحقوق الإنسان الحقيقية، أو أنهم كانوا صادقين ومخلصين في تأسيسهم منظمة الأمم المتحدة وإصدارهم الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

إذاً، فقد اتضح الجواب عن السؤال الثاني، وهو أننا نعتقد أن تحركات السياسيين ومساعيهم وأغلب النداءات والصرخات الداعية الى إعطاء الإنسان حقوقه لم تكن صادقة أبداً.

أما السؤال الثالث، وهو السؤال الأساسي فهو: ما هي أسباب كل هذا العجز والإخفاق في هذه المساعي؟ إن هذه النقطة يجب أن تحظى بقدر أكبر من اهتمامكم، وسأتناولها أنا هنا باختصار. فنحن نعتقد أن ما يطرح اليوم باسم حقوق الإنسان إنما يطرح في إطار نظام معْوَجّ وخاطئ، ألا وهو نظام الهيمنة، نظام الظلم، وهو ما يؤمن به أولئك الذين أوجدوا الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والذين يرفعون اليوم عقيرتهم ويملأون الدنيا شعارات دفاعاً عن هذه الحقوق، كما يؤمن به أيضاً ـ مع الأسف ـ أغلب الحكام والسياسيين في العالم، ويتلخص معنى هذا النظام في أن هناك مجموعة من الناس تهيمن على الباقين ويجب أن تبقى مهيمنة. هذا النظام تتبعه ثقافة الهيمنة. فالعالم اليوم مقسّم الى قطبين أو مجموعتين: مجموعة المهيمنين، ومجموعة الخاضعين لهذه الهيمنة، فالمجموعة الأولى تعتقد بأن نظام الهيمنة يجب أن يسود، والثانية رضيت بهذا النظام وخضعت للهيمنة. وهذا هو الخلل الكبير في الوضع العالمي اليوم. فالذين يرفضون هذا النظام والذين يتمردون على الوضع الاجتماعي والسياسي السائد في العالم، هم أولئك الثوار التحرريون أو دول قليلة جداً، وهؤلاء يتعرضون لضغوط مستمرة، والجمهورية الإسلامية خير مثال على ذلك، فقد رفضت نظام الهيمنة بكل أشكاله، ورفضت هيمنة أية جهة أو دولة أو مجموعة، سواء أكانت شرقية أم غربية. وقد شاهد الجميع ما واجهته الثورة الإسلامية خلال سنيّ عمرها الثماني من ضغوط سياسية وعسكرية واقتصادية وإعلامية بسبب اتخاذها الموقف الصادق والجاد والمستقل من نظام الهيمنة.

فإن كانت هناك بعض التقدمية تقف بوجه الهيمنة الغربية والأميركية، فسنلاحظ أنها تميل الى المعسكر الشرقي بنسب متفاوتة، فبعضها يرتمي بشكل كامل في أحضان المعسكر الشرقي وروسيا، وبعضها الآخر يميل الى هذا المعسكر مع وضوح الاستقلالية في الكثير من مواقفه وسياساته.

إن الدولة الوحيدة التي رفضت الرضوخ لضغوط أية قوة، هي الجمهورية الإسلامية بشعبها وكل قواها، فقد رفضت نظام الهيمنة جملة وتفصيلاً. فنحن نعلن موقفنا الصريح والواضح وبدون أي تحفظ من أية حالة هيمنة تمارسها قوة أو فئة ضد شعب من شعوب العالم.

إن أكثر العالم رضي بنظام الهيمنة، فأنتم تلاحظون أنه حتى الحكومات الخاضعة للهيمنة، تملك الجرأة على الوقوف بوجه القوى الكبرى ومواجهتها، بينما نحن نعتقد أن هذا الأمر ممكن ويسير.

نحن نعتقد أن الدول الفقيرة، والدول التي رضخت للهيمنة والدول التي أُجبرت على الرضوخ للهيمنة رغم امتلاكها القدرات والثروات، بإمكانها الوقوف بوجه القوى الكبرى إن أرادت ذلك، وهذا الأمر يسير لا يحتاج الى معجزة، إذ يكفي حكومات هذه الدول أن تعتمد على شعوبها.

إن ضعف نفوس وإرادة بعض الحكام، وخيانة بعضهم الآخر أدّيا الى خضوع هؤلاء لنظام الهيمنة، فهذا النظام هو الذي يسيّر الاقتصاد والثقافة والعلاقات والحقوق الدولية، وطبيعي أن تكون مسألة حقوق الإنسان قد انطلقت من هذه النظرة، ووجدت وتنامت في إطار هذا النظام. فالذين ينادون بحقوق الإنسان في الغرب ويسعَون الى إعطاء مواطنيهم بعض الحرية الشكلية والإمكانات الرفاهية، يقومون هم أنفسهم بقتل آلاف البشر من الدول الأخرى، فما الذي يعنيه ذلك غير سيطرة ثقافة الهيمنة على عقول هؤلاء؟ إنهم يقسمون الإنسان في العالم الى نوعين: الأول/ إنسان يجب الدفاع عن حقوقه، والثاني/ إنسان بلا حقوق، يجوز قتله واستعباده واغتصاب ثرواته. هذه هي ثقافة الهيمنة المسيطرة على العالم، وحقوق الإنسان المطروحة اليوم، إنما هي وليدة هذه الثقافة.

هذا هو إطار حقوق الإنسان في عالمنا اليوم، والذي تعمل القوى الكبرى بواسطته على تعميق الهوة بينها وبين الدول الضعيفة، وتزيد من ضغوطها عليها، لتسرع هي في تطورها وتقدمها العلمي والتكنولوجي.

إن الأقمار الصناعية تدور اليوم حول الأرض لتجمع الأسرار والمعلومات الخاصة بالدول والشعوب، فبأي حق يتم كل هذا؟ إن جميع المحادثات واللقاءات بين الناس على سطح هذه الأرض تخضع

للإنصات من قبل أولئك الذين يملكون التفوق التكنولوجي ولتجسسهم، فبأي حق يتم هذا؟ هل سأل أحد عن ذلك؟ هل مَن يعترض على ذلك؟ بما أن أميركا تملك أقماراً صناعية إذاً فمن حقها استخدام هذه المعلومات المستحصلة، والجميع يرضخ لذلك! ترى أليس التجسس على أحاديث الآخرين وأسرارهم اعتداءاً على حقوقهم؟ وهل قام أحد بطرح هذا السؤال على أميركا وروسيا وبريطانيا وألمانيا وفرنسا؟ ونحن نسأل: هل يمكن طرح مثل هذا السؤال؟ ويأتي الجواب بالنفي، لأن الجميع سيقولون إن هذه الدول تملك القوة والقدرة ويجب أن تقوم بذلك.

إن مسألة القنبلة النووية واستخدام السلاح النووي تُطرح اليوم على الصعيد العالمي، تطرحها الدول الكبرى نفسها لأن كلاً منها تخاف الأخرى، فتقوم بافتعال الضجيج واللجوء الى كل وسيلة لخداع الأخرى ودفعها الى التقليل من تسليحاتها النووية، بينما تقوم هي بزيادة تسليحها. ترى هل فكرت الدول الصغيرة بأن تعلن للدول المنتجة للأسلحة النووية بأنها ستقطع علاقاتها معها وستقطع عنها مواردها وتسهيلاتها وإمكاناتها ما دامت تواصل انتاج هذا السلاح الذي يحمل خطراً كبيراً يهدد البشرية بالفناء في أية لحظة؟ هل فكرت دول عدم الإنحياز وسائر الدول بأن تشكل محوراً معارضاً لانتاج الأسلحة النووية؟ بالطبع لا. ولو أنكم عرضتم عليهم هذه الفكرة لقالوا إن هذه الدول تملك تكنولوجيا متطورة وباستطاعتها انتاج هذه الأسلحة. إن هؤلاء قد استسلموا واقتنعوا بنظام الهيمنة الذي بات مقبولاً من كلا الجانبين: المهيمنين والخاضعين للهيمنة في وقت واحد.

نحن نشاهد في المحافل الدولية أن ممثلي الدول تدهشهم إدانتنا للشرق والغرب ويعتبرون ذلك تهوراً من جانبنا بينما هو موقف طبيعي من شعب مستقل، وعلى الشعوب جميعاً سلوك نفس هذا النهج، كما أن على الحكومات أيضاً أن تتخذ هذا الموقف الذي تتركه وللأسف.

نخلص الى القول بأن ثقافة الهيمنة، تعتبر اليوم أكبر آفة وخطر يهدد العالم كله، خاصة الشعوب المستضعفة.

إن القوى الكبرى، وفقاً لثقافة الهيمنة تسمح لنفسها بنقض حقوق الإنسان حيثما شاءت، فهي تهاجم غرينادا وتساند الصهاينة الذي يقتلون الأبرياء في لبنان، وتساند ـ مع بعض الدول الأوروبية ـ النظام

العنصري في جنوب أفريقيا في ظلمه واضطهاده لأصحاب البلد الأصليين، أما لو نهض شخص في إحدى بقاع العالم وتمرّد على هذا الوضع غير المتوازن، فقام بتفجير قنبلة أو عملية ثورية، او قاد حركة ضد هذه المعادلة غير المتوازنة، لتعرَّض للإدانة، ولأُلصقت به صفة الإرهاب، بينما الإغارة على ليبيا وقصف منزل رئيس دولة والاعتداء على أراضي دولة أخرى لا تتعرض لأية إدانة.

عندما يتحدث هؤلاء عن الإرهاب يطرحون عمليات أفراد مظلومين نهضوا غاضبين، من فلسطين ولبنان ودول أفريقيا وأميركا اللاتينية، ويبعدون الأذهان عن الاعتداءات والانتهاكات والإرهاب الذي تمارسه أميركا وبريطانيا وسائر القوى الكبرى. إن هذه هي ثقافة الهيمنة التي تسيطر، مع الأسف، على أذهان البشر.

في ثقافة الهيمنة، تعطي المصطلحات معاني تتلاءم مع نظام الهيمنة، فمثلاً يطرح معنى الإرهاب بشكل بحيث لا تعتبر الإغارة على ليبيا وتهديد نيكاراغوا والهجوم على غرينادا، مصاديق له، هذا هو الخطأ الكبير في عالمنا اليوم.

إذاً، فسبب عدم نجاح كل المحاولات والمساعي المبذولة باسم حقوق الإنسان من قبل المخلصين الصادقين والحريصين على هذه الحقوق، يكمن في أنهم يطرحون هذه الحقوق في إطار نظام الهيمنة وثقافتها، وفي هذا الإطار يريدون وضع حقوق الإنسان، وهذا أمر مستحيل. إذ يجب تحطيم هذا الإطار، أولاً تجب إدانة نظام الهيمنة ورفضه جملة وتفصيلاً حتى يمكن فهم مسألة حقوق الإنسان، والسعي من أجل ضمانها بالشكل الصحيح.

وهنا نصل الى السؤال الرابع والأخير وهو: ما العلاج؟

برأينا يكمن العلاج في جملة واحدة هي: العودة الى الإسلام والوحي الإلهي. إنها الوصفة الطبية النافعة للمسلمين وغير المسلمين على حد سواء. إن على المجتمعات الإسلامية أن لا تفكر بغير هذا، عليها أن تحيي القرآن والفكر الإسلامي وتستنبط القوانين والأحكام من المصادر الإسلامية (القرآن والسنّة) فذلك كفيل بتحديد معالم حقوق الإنسان ومصاديقها، ومساعدتنا في ضمان هذه الحقوق. ولأجل

إعطاء الإنسان حقوقه علينا ترك التوصيات والنصائح، فهي عديمة الفائدة، {خذوا ما آتيناكم بقوة} فلقد أعطى الله هذه الحقوق للإنسان وعليه أخذها بكل قوة. على الشعوب أن تعتمد على الفكر الإسلامي في مواجهة الهيمنة والضغوط، وهذا الكلام لا يصدر من إنسان يجلس في زاوية المدرسة يفكر بالمسائل والنظريات الإسلامية، بل إنه صادر عن ثورة خاضت تجربة ناجحة ولمست حقائق عديدة، فثورتنا تجربة تقدم نفسها لكل الشعوب. أنا لا أقول إننا استطعنا حل كل مشاكلنا، فبسبب الثورة واتجاهنا نحو الإسلام اختلقوا لنا مشاكل عديدة، إلا أننا استطعنا إنهاء مشكلة الهيمنة، وشعبنا اليوم مستقل عن جميع القوى، ويمكنه اتخاذ أي قرار يريده بكل حرية واستقلالية. وطبيعي أن أمام شعب يريد التحرر من كل أنواع التبعية طريقاً طويلاً وشاقاً، لكن التبعية التي لا تقترن بالهيمنة هي أمر طبيعي يمكن تحمله، وواضح أن ثورتنا وجمهوريتنا الإسلامية قد ورثتا مجتمعاً مدمراً واقتصاداً منهاراً وثقافة منحطة، لقد ورثت ثورتنا. إيران كانت خلال الستين عاماً الأخيرة معرضة للغزو من كل صوب وعلى الأصعدة كافة، ولا يتوقع أحد أن الثورة ستستطيع التعويض عما فات إيران على الصعيد الثقافي والأخلاقي والاقتصادي والعلمي والصناعي في فترة وجيزة، ونحن أيضاً لا ندّعي ذلك.

إننا نعتقد أنه إذا استطاع شعبنا الوصول الى مستوى مادي عالٍ، فيجب أن يتم ذلك في ظل الاستقلال والاعتماد على النفس واستخدام جميع إمكاناته المادية والبشرية.

إن الذي يمكن أن ندّعيه بكل ثقة، هو أن الجمهورية الإسلامية لم تعد تخضع لأية هيمنة أو ضغوط سياسية من جانب أية قوة، وليس بإمكان الضغوط السياسية التي تمارس ضدها تغيير نهجها وخطها، ولا التعديل من مواقفها أو إجبارها على الاتجاه نحو إحدى القوى الكبرى، إننا حررنا أنفسنا من سلطة القوى الكبرى وهيمنتها، وهذا بحد ذاته تجربة غنية.

نحن نعتقد أن أفضل النماذج لحقوق الإنسان في الإسلام هو حق الحياة، وحق الحرية، وحق التمتع بالعدالة، وحق التمتع بالرفاهية، وسائر الحقوق الأساسية التي أعطاها الإسلام للإنسان قبل أن ينتبه لها المفكرون الغربيون.

إن علينا أن نعود الى الإسلام، وعلى المفكرين الإسلاميين الإضطلاع بمسؤولية البحث والدراسة في مجال حقوق الإنسان خاصة، والنظام الحقوقي بشكل عام، وهذا ما أخذه هذا المؤتمر على عاتقه والذي سيكون خطوة على هذا الطريق، وستستمر هذه الجهود إن شاء الله على مستوى عالٍ لتتمكن الشعوب من التمتع بهذه الحقوق، وطبيعي أن بإمكان الحكومات مساعدة شعوبها في هذا الأمر بشرط أن لا تراعي رغبات القوى الكبرى، وهذا ما لا نشاهده الآن بكل أسف، فأغلب الأنظمة الحاكمة في الدول الإسلامية تقع تحت تأثير القوى الكبرى، وأغلبها تحت تأثير الغرب وأميركا، ولهذا فإن جميع مواقفها وقوانينها لا تتماشى مع الموازين والأحكام الإسلامية وإرادة شعوبها، وهذا المؤتمر الذي عقد في الكويت مثال بارز على ذلك، فقد رأيتم كيف أنه لم يبحث القضايا الأساسية والمصيرية للمسلمين، بل ذهب الى طرح قضية وإصدار البيان الختامي بشأنها وهي لا تتفق والإسلام، فبدلاً من أن يدينوا العراق ويطردوه من المؤتمر بسبب اعتدائه على إيران ووقوفه بوجه بلد مسلم، وبدلاً من كشف دور القوى الكبرى في تأجيج هذه الحرب، فإنهم أبدَوا رضاهم عن العراق باعتباره ـ حسب قولهم ـ يلبي نداء السلام؛ متجاهلين بذلك واقع هذه القضية وحقيقتها، ومتناسين أن دفاع شعب عن حقوقه أحق أن يُشاد به، وامتثال نظام معين لرغبات الاستكبار العالمي في الوقوف بوجه ثورة شعبية إسلامية أحق أن يدان.

إن هذه البيانات والقرارات ووجهات النظر خاوية لا تستند الى المبادئ والقيم الإسلامية، كما أنها تفقد أية أهمية، فليس هناك شعب ينتظر ما ستتخذه قمة الكويت من قرارات لكي يفرح أو يحزن لها، أي أن هذه المؤتمرات وهذه القرارات بعيدة عن الواقع والأصالة الإسلامية وطموحات الشعوب لدرجة أنها تواجه بعدم اكتراث من قبل الشعوب، فليس هناك من شعب متعطش لما سيصدر عن القمة الإسلامية، ليحدد واجبه على غرارها. لماذا يصل تجمع يضم ستاً وأربعين دولة، على مستوى القمة، الى هذه الدرجة من الخواء والضعف؟ إن السبب يكمن في أن أغلب هؤلاء الرؤساء يقعون تحت تأثير القوى الكبرى، وما دام رعب هيمنة هذه القوى يسيطر على قلوبهم فلن تصلح حال المسلمين، ولو أردنا إصلاح هذه الحال التي نمر بها اليوم، لكان علينا أولاً طرد ما في القلوب من رعب من القوى الكبرى، وكما قال الباري عز وجل {فلا تخشَوا الناس واخشونِ}، وإذا ما حدث ذلك فسينصلح حال الشعوب الإسلامية.

هنا أصل الى نهاية حديثي، وآمل أن يتمكن هذا المؤتمر من قطع خطوات مؤثرة في طريق معرفة الحقائق الإسلامية في مجال حقوق الإنسان، كما آمل أن يؤدي التقاء الإخوة المؤتمرين الى توضيح تجارب الثورة الإسلامية للإخوة غير الإيرانيين ليتسنى لهم دراستها والاستفادة منها ولشعوبها، الإطلاع على ثورة إخوانهم في إيران باعتبارها قدوة ونهجاً يمكن اتباعه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم محمد (ص) وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين وصحبه المنتجبين المكرمين.

قال الله الحكيم في كتابه:

بسم الله الرحمن الرحيم

{قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مدداً * قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً}.

لابد أولاً وأن أرحب بالضيوف الأعزة، وعلى الأخص الضيوف الذين قدموا إلى هذا الوطن الإسلامي من دول أخرى، وأن أشكرهم على مشاركتهم إيانا في احتفال الجمهورية الإسلامية الكبير بعيدها، بل أكبر أعيادها التاريخية في الواقع. اليوم هو يوم 12 بهمن وبداية "عشرة الفجر"، يوم ورود إمامنا العزيز الجليل إلى البلد الإسلامي، ويوم تصاعد ثورتنا العظيمة. وإني لأرجو أن تكون المواضيع التي تطرح في هذا المؤتمر، والتي طرحت وشرحت في المؤتمرات السابقة، بشأن القضايا الإسلامية الرئيسية ـ وهي في الحقيقة كنز فكري ثمين لنا نحن المسلمين ـ منطلقاً للفكر والتأمل والتدبر، كما أرجو أن تلهم جميع المجتمعات الإسلامية السعي والعمل.

موضوع هذه السنة أيضاً هو قضية حقوق الإنسان، وهي بالطبع قضية مهمة، تتسع لكثير من البحوث الأصلية والكلية والمتفرعة عنها والتي بحث جانب منها في العام الماضي، وسوف يجري البحث هذا العام في جوانب أخر منها.

إنني اليوم إذ أبدأ هذه البحوث، سأتطرق إلى قضية مبدئية على صعيد حقوق الإنسان.

لقد طرحت قضية حقوق الإنسان ـ كما يعلم الإخوة ـ منذ القرن الثامن عشر في أوربا والعالم الغربي كمسألة يدور حولها الكثير من اللغط والكلام والجدل. لقد برزت قضية حقوق الإنسان، قبل الثورة الفرنسية الكبرى، في بعض البحوث الثانوية في كثير من الكتب والمحاضرات والمؤتمرات، ومازالت حتى اليوم من القضايا التي يوليها الغرب الكثير من اهتمامه، وطبيعي أن تبرز من خلال ذلك وجهات نظر جيدة ومفيدة وعميقة.

إننا ـ بالطبع ـ لا نرفض كل ما قاله الغرب بشأن حقوق الإنسان، كما إننا لا نتقبله كله، إذ إن هناك في البحوث الموجودة نقصاً مبدئياً موجوداً في جميع المساعي المبذولة في أرجاء العالم بخصوص حقوق الإنسان، وهو ما سأتناوله بالبحث اليوم. فعلى الرغم من كل الجهود المبذولة، ما زلنا نرى أن قضية حقوق الإنسان من القضايا التي لا حل لها في عالمنا اليوم. أقصد أن حقوق الإنسان ما زالت غير متوفرة حتى الآن.

إنك حيثما تلتفت بنظرك في العالم تجد المحاباة، والقيود، والفقر المفروض، وانعدام الثقافة الاجباري، بل تجد أن حقوق الإنسان تداس بالأقدام في بعض نقاط من العالم على الرغم من المساعي الكثيرة التي بذلت وتبذل في سبيل هذه القضية. فأين الخلل؟ وهذا سؤال مهم.

إنني عندما أشير إلى الغرب ونقص الثقافة الغربية، لا أعني أن الثقافات الأخرى الشائعة في العالم هي خير من تلك، بل أريد القول إن الثقافة الغربية هي ـ في الحقيقة ـ أم الثقافات الشائعة في العالم اليوم، بما فيها الثقافات الماركسية والاشتراكية في العالم الثالث.

من المؤسف أن نلاحظ أن ما يخطط له في الدول المتخلفة بهذا الخصوص يدور حول محور ما يقوله، ويزوقه مفكرو الغرب. بل إن الشعراء والمفكرين والفلاسفة والمصلحين في هذه الدول واقعون تحت تأثير أقوال أولئك المفكرين الغربيين وتزويقاتهم. وثقافة الكتلة الشرقية والفكر الماركسي أيضاً ـ كما قلنا ـ من منتجات الثقافة الغربية، ولذلك فهي واقعة أيضاً ـ وبشكل خاص ـ تحت تأثير تلك الثقافة نفسها. وحتى إذا ما ارتفعت فيها نغمة مضادة تماماً لما يرتفع في الغرب من نغمات، فإن الغرب هو الذي رفعها. كان لينين يقول:

"الحرية تعني ديكتاتورية البرجوازيين. إذن، في قبال تلك الديكتاتورية يجب أن يرتفع علم ديكتاتورية البروليتاريا" الديكتاتورية مرة أخرى. وهكذا ترون أن فكرة ديكتاتورية البروليتاريا لم تكن سوى انعكاس وتأثر بما كان يدور في ذهنه من الثقافة الغربية. وما جذور الثقافة الماركسية إلا نتائج الثقافة الغربية، وهذا أمر واضح لا لبس فيه.

إننا ـ إذن ـ عندما نشير إلى الغرب، فإنما نفعل ذلك بصفته نموذجاً بارزاً نستند إليه. على كل حال، هناك عيب أساس واحد يوجد في جميع ما يعرض اليوم في العالم باسم حقوق الإنسان، سواء أكان ذلك في المساعي العملية، كنشاط المؤسسات التي تبذل جهودها في هذا السبيل، أم في المساعي الفكرية، كالآراء التي يعرضها المفكرون على هذا الصعيد.

وعلى الرغم من الجهود الواسعة التي يبذلها عالم اليوم من أجل حقوق الإنسان ـ وبعض تلك الجهود مدفوع بدافع الإخلاص حقاً ـ فإنها تنطبق عليها الآية الكريمة التالية:

{قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً * الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً}.

هذا ـ في الحقيقة ـ يجسد المساعي التي تبذل في العالم من أجل حقوق الإنسان، وقد قلنا إن بعضاً منها مدفوع بدافع الإخلاص. إن المشكلة الرئيسية في نظرنا هي أن أهم حق من حقوق الإنسان قد أغفلته تلك المساعي. إنهم تجاهلوا الأصل وتمسكوا بالفروع. ذلك الأصل هو حق حرية الإنسان في

عدم العبودية لغير الله، كالعبودية للقوة، والعبودية للذهب والفضة، والعبودية لمختلف النظم غير الإلهية، هذا هو أكبر حق من حقوق الإنسان، ولكنهم تجاهلوه.

والتوحيد هو ما لا يعثر عليه في كل هذه الجهود. تلك هي المنقصة الكبرى. لا نقصد بالتوحيد مجرد الذهنية المحضة فقط، بل التوحيد بصفته فكراً اجتماعياً، أو مشروعاً لبناء العالم وبناء المجتمعات البشرية.

أما التوحيد بمعنى أن الحكم لله على جميع شؤون حياة الإنسان، فهذا ما نجد مكانه خالياً في العالم. وحيثما لا يكون الحكم لله، يكون الحكم لغير الله. وحيثما لا يكون الإنسان عبداً لله، يكون عبداً لغير الله. وهذا تضييع لأكبر حق من حقوق الإنسان. إن المفكرين والفلاسفة والسياسيين، الصادقين في أقوالهم وفي أعمالهم ـ لا الكاذبين ـ الذين يريدون اليوم أن يضمنوا حقوق الإنسان، فيسعون للحصول على حقوق الأسرة، أو حقوق المرأة، أو حق التقاعد، البطالة، أو التأمين، ولكنهم لا يتجهون لضمان حق الإنسان الأصلي، أي حقه في الحرية الحقيقة. تلك هي عقدة المسألة. ولهذا فإننا نسيء الظن بالجهود التي بذلت منذ السابق وحتى الآن من أجل حقوق الإنسان. إننا لا ننكر وجود جهود مخلصة، بل ونكرر قولنا هذا، فنحن لا نشك في وجود مثل هذه المساعي، ولا يمكن أن نخطئ الذين كتبوا كتابات جيدة، وأبدوا آراء طيبة، وعرضوا مُثُلاً قبولة.

نعم، لا نشك في أن هناك جهوداً مخلصة، ولكننا نسيء الظن بقيادات الحركات الكبرى التي تجري في العالم باسم حقوق الإنسان. إننا نلحظ وجود أيدٍ غير مخلصة، طامعة في حياة الإنسان وراء تلك الحركات، ولهذا تجاهلت هذا الحق الأساس للإنسان ونبذته جانباً. وإلاّ. لو كانوا مخلصين حقاً في نظرتهم، لرأوا هذا الحق الأصلي للإنسان أمام أعينهم.

في القرن التاسع عشر كانت المبادرة بشأن الحرية الفردية في أيدي الانجليز، فهم الذين حملوا لواء تلك النهضة، ومن ذلك مكافحتهم الرق في العالم. كانوا يأتون إلى الأقطار الواقعة تحت سيطرتهم فيجبرونها على التوقيع على إلغاء الرق. ترى ماذا كان هدف بريطانيا ـ في القرن التاسع عشر ـ من مواصلة تتبع هذه المسألة؟ لقد كان الهدف هو السيطرة على الممرات المائية الحساسة في العالم

وعلى المناطق المحيطة بتلك الممرات، إذ كانت بريطانيا، بقوتها البحرية المتميزة، قادرة على السيطرة عليها باسم ضبط الرقابة على السفن التي تمر من تلك الممرات المائية، وهي تحمل الرقيق.

وهكذا فرضت سيطرتها على التجارة في جميع المناطق التي تهمها، ومنها منطقة الخليج الفارسي، جاءوا إلى بلدان سواحل الخليج الفارسي، ومنها بلدنا الذي كان يومذاك تحت حكم ملوك ضعفاء فاسدين، فأجبروهم على التوقيع على أن يكون للانجليز الحق في مراقبة جميع السفن التي تعبر في الخليج الفارسي وبحر عمان وفي مياه المنطقة كلها، للتأكد من أنها لا تحمل عبيداً أرقّاء. وبهذا الاسلوب أمسكوا بزمام التجارة في أيديهم، يمنعون السلع التي لم يكونوا يرغبون في خروجها، وأحياناً كانوا يضغطون على بعض السفن الراغبة في التجارة مع إيران، عند اقترابها من الموانئ الإيرانية فيوجهونها إلى موانئ الهند، وكانوا يشددون الضغط عليهم حتى يحملوهم على هجر التجارة مطلقاً، أو القبول برفع العلم البريطاني على سفنهم. وكان هذا الضغط يتكرر في مناطق أخرى من العالم، وفي البوسفور والدردنيل كانوا يضغطون على الامبراطورية العثمانية لتكرار القضية نفسها. ولعل لواء حرية الفرد الذي كان الانجليز يحملونه كان وسيلتهم في مناطق أخرى من العالم لتوسيع رقعة نفوذهم السياسي. أما لواء الحرية السياسية فقد كان في الغرب بيد الدول الغربية في أوربا وأمريكا.

كان هؤلاء يدافعون عن الديمقراطية والحرية الفردية، وكانوا يفخرون بذلك، ولطالما نعتوا دنياهم في قبال دنيا أعدائهم بأنها دنيا الحرية. ولكن هل هناك في عالم اليوم من لا يعلم أن الديمقراطية والحرية السياسية التي يحمل لواءها الغربيون والدول الغربية، لم تكن إلا مجرد ذريعة وواسطة لتسليط الشركات التجارية ـ التي بيدها وسائل الأعلام ـ على جميع الشؤون السياسية في الدول الأخرى؟ فيأتون بالحكومة التي يريدونها، ويشنون حملاتهم الاعلامية في الوقت المناسب، وينصبون رؤساء الجمهوريات الذين يرغبون فيهم، ويعزلون رؤساء الجمهوريات الذين لا يرغبون فيهم، ويفرضون عليهم سياساتهم، ويدخلون أتباعهم نواباً في المجالس النيابية، ويمررون القوانين طبقاً لمصالحهم، وفي الجو الذي يحس فيه الناس بالديمقراطية بصورتها المزيفة، يفرضون ديكتاتورية فظة وخطرة وظالمة على الناس.

وهذا هو ما يجري اليوم في أمريكا والدول الديمقراطية الغربية، حيث إن الحاكم الحقيقي المهيمن على سائر مصائر الناس هو ـ في الواقع ـ تلك الشركات التي تقبض بيدها على وسائل الإعلام، وتبذل الأموال، وعن طريق بذل المال، والإعلام الواسع الذي لا حدود له، يشكّلون الحكومات، ويمرر القوانين في المجالس النيابية، وهم آمنون على أنفسهم من غضب الناس وثوراتهم الناجمة عن غضبهم، وتسمى بلدانهم بالبلدان المستقرة. إن استقرار الدول الغربية يعني أنه لم يعد هناك في تلك الدول من يثور من أجل الحرية والديمقراطية، لأنهم جميعاً واقعون تحت إحساس كاذب بالديمقراطية، دون أن يكون للديمقراطية أو للحرية وجود، لأن لواء الحرية السياسية والديمقراطية كان بيد هذه الدول.

لاحظوا مقدار التزوير الكامن في هذا! وفي هذه الأيام ترفع أمريكا لواء حقوق الإنسان، وعلى الرغم من كل شيء، فما يزال الأمريكيون يظنون أنهم المدافعون عن حقوق الإنسان. وعندما كان الديمقراطيون في الحكم كانوا أكثر من الجمهوريين تبجّحاً بدفاعهم عن حقوق الإنسان، ومن هم هؤلاء؟ هؤلاء هم الذين تجد لهم أصبعاً ملطخاً بالدماء في كل زاوية من زوايا العالم المتخلف. فها هو الخليج الفارسي، وتلك هي فلسطين المحتلة، وأفريقيا، وجنوب أفريقيا، ودول أمريكا اللاتينية، وفي كل مكان آخر في العالم كان هؤلاء هم الذين يحملون لواء حقوق الإنسان على امتداد سنوات طوال خلال القرنين الماضيين. بديهي أن هؤلاء، ليسوا على استعداد لضمان حق الإنسان الأصلي، أي التحرر من غير الله. إن التحرر من غير الله يعني التحرر من هذه القوى نفسها، يعني التحرر من شرور هذه الأنظمة ذاتها.

إنك لتجد اليوم أن أشد الأنظمة رجعية، وفساداً، وظلماً، في العالم تحظى بحماية الذين يدعون الدفاع عن حقوق الإنسان، أي نظام ترونه أنتم من أحطّ الأنظمة وأكثرها ظلماً وعنفاً؟ إسرائيل؟ حسناً، لو لم تسند أمريكا إسرائيل وتحميها لما كانت هذه قادرة على البقاء وإدامة الحياة. إنني أدعي مؤكداً بأنه لو أزيل إسناد أمريكا ودعم الدول الكبرى لإسرائيل، لاستطعنا نحن الدول الإسلامية ـ بكل تأكيد ـ أن نزيل إسرائيل وأن نمحو هذا الاغتصاب والظلم الكبير.

كذلك حكام الدول الإسلامية والعربية الذين يرتبطون بإسرائيل، إنما هم يفعلون ذلك استناداً إلى دعم أمريكا لهم وجلباً لمرضاتها.

هل تعتبرون أفريقيا الجنوبية نظاماً فظاً وظالما؟ انظروا كيف أن أمريكا وبعض الدول الغربية ليست مستعدة للتوقيع على فرض حظر على أفريقيا الجنوبية هذه ذات النظام العنصري، بل إن الذين يملكون حق النقض ليسوا مستعدين للتخلي عن ممارسته في قرارات مجلس الأمن بهذا الخصوص.

هذه الأنظمة الرجعية المنتشرة في أرجاء العالم، عسكرية كانت أم غير عسكرية، هل تعتبرونها أنظمة عنيفة؟ إن يد امريكا وراءها في الأعم الأغلب.

هؤلاء يطالبون بحقوق الإنسان وحريته. ولكننا حيثما نظرنا على امتداد التاريخ هذه الشعلة وجدنا أن زمام الأمر في أيدٍ مشكوك فيها وذات نيات فاسدة. والذين تكلموا وفكروا أثناء ذلك لم يخرجوا عن إطارهم الفكري، ولم يعنوا بحرية الإنسان؛ حريته الحقيقة من نير القوى التي لا تعرف الله. وهكذا هي ـ مع الأسف ـ حال المؤسسات غير الحكومية في العالم.

أرى من اللازم أن اخاطب مرة أخرى هذه المؤسسات والمنظمات غير الحكومية التي تقوم بنشاطاتها باسم حقوق الإنسان، فتنذر أحياناً حكومة، أو بلداً، أو مجتمعاً، أو تتهمه، أو تقدم له الوصايا، فأقول لها: إنها بأسلوبها هذا الذي تتبعه، تقطع أمل الجماهير في جميع هذه المؤسسات التي تدعي الدفاع عن حقوق الإنسان، ويزداد يأسها منها. ولو كانت هذه المؤسسات تريد مخلصة أن تعمل لكان عليها أن لا تتجاهل حق شعب فلسطين المظلوم. قضية فلسطين ليست من القضايا التي يمكن أن نتجاوزها بسهولة. إنها اليوم أكبر قضايا دنيا الإسلام. إنها قضية شعب مظلوم في عقر داره، وغريب في قلب وطنه. انظروا اليوم، بعد أن نهض الفلسطينيون باسم الإسلام في الأرض المحتلة، كيف يعاملونهم بقسوة وبوحشية. ولكن المؤسسات التي تدعي الدفاع عن حقوق الإنسان لا تقوم ـ مع الأسف ـ بواجبها ودورها، وهذا مما يدعو إلى الأسف الشديد. إنني أطلب منكم ـ أيها الإخوة وايتها الأخوات ـ ومن جميع الذين يستطيعون في بلدانهم أن يوصلوا أصواتهم إلى الآذان، أن تعلنوا هذه الحقيقة على الملأ وتبيّنوا أن منظمات حقوق الإنسان، والجمعيات التي تنشأ بهذا الاسم، لم تقم بأي عمل جاد

لحماية أكبر حق من حقوق الإنسان من الضياع، وهو حق الشعب الفلسطيني، وهذا دليل على أن تلك السياسات مازالت تسير هذه المنظمات.

إن العلاج وطريق الحل الرئيسي هو العودة إلى الدين الخالص، أي التوحيد. إن ما يستطيع ضمان حقوق الإنسان هو العبودية لله. ففي ظل العبودية لله وحده يمكن دفع مفاسد العبودية للمال والقوة والأهواء النفسية والتحريف. إن على العالم أن يفكر مرة أخرى في الدين الخالص والتوحيد. ولئن أرادت المجتمعات البشرية أن تنجو من ضغوط القوى العظمى، فعليها أن تلجأ إلى قوة الله. إن الإيمان بالله وبالتوحيد الخالص يهب الإنسان ـ فرداً ومجتمعاً ـ من القوة ما لا تستطيع معها أية قوة مادية إخضاع ذلك الفرد الإنسان أو المجتمع الإنساني ولا تحطيمه. وهذا هو السر الكبير في انتصار ثورتنا. فقبل تسع سنوات، وفي مثل هذا اليوم الذي عاد فيه الإمام إلى البلاد بعد (15) سنة من البعد عن الوطن قام شعبنا ـ من دون أن يحمل أي سلاح، أو أن يتمتع بأي قوة ظاهرة ـ بمقارعة واحدة من أقوى السلطات الحكومية والعسكرية في المنطقة، في الوقت الذي كانت فيه أمريكا تحمي تلك السلطة؛ إذ الحماية التي تقدمها الآن أيضاً أمريكا لأنظمة مثل إسرائيل، كانت تقدمها لنظام الشاه وتجهّزه بالإمكانات وتشجعه على استعمال العنف والشدة. والناس ـ في قبال هذا الجبل من القوة الظاهرية سياسياً وعسكرياً ـ لم يكونوا يملكون شيئاً سوى الإيمان وسوى الاعتقاد بالتوحيد الذي كان نافذاً إلى أعماق شعبنا. كان الشعب يؤمن بأن عليه أن يتقبل العبودية لله، وأن يخرج من تحت نير العبودية لذاك النظام الفاسد، وهكذا قرر ونجح.

في تلك الأيام دخل نضالنا مرحلة جديدة ـ بالطبع ـ ولكنه لم ينته. إننا اليوم مازلنا في حالة نضال، فالقوى العظمى التي كانت تدعم نظام الشاه ما كانت لترفع يدها عنا بسهولة، ولا ترفعها الآن. وما الحرب التي فرضتها علينا بواسطة العراق إلاّ استمرار لتلك الضغوط نفسها. إن ما يجري علينا اليوم في العالم وفي السياسات المخالفة للإسلام إنما هو تابع لتلك الضغوط والمعارضات. إن دنيا القوة والمال ـ دنيا الاستكبار ـ قد استولى عليها الغضب من رؤية الإسلام ينال مثل هذا الانتصار العظيم. إن الاستكبار مرتبك ويسعى لجعل انتصارنا ناقصاً لا يصل إلى أهدافه، وكل هذه الضغوط التي يتحملها

اليوم شعبنا ناجمة عن ذلك. ولكننا بالاعتماد على الله مازلنا صامدين، وهذه القوة جاءتنا من التوحيد ومن الإيمان بالله.

هنالك عوائل بين الناس قدمت عدة شهداء في سبيل الله، ولمعرفتهم بأن ذلك في سبيل الله؛ لم ولن يعتورهم التعب. هذه هي القوة العظيمة التي ينالها الإنسان بخروجه من عبودية غير الله. فإذا ما تحقق هذا؛ تحقق أيضاً سائر الحقوق الأخرى، وعندئذ سوف تحس الشعوب بالحرية، ويومها تذوق المجتمعات طعم حقوق الإنسان.

إن المجتمع الإسلامي يتكفل توفير جميع الحريات وجميع الحقوق الحقة للإنسان. إن المجتمع الإنساني، المجتمع المسلم؛ يكفل الحرية والرفاه، والعدالة وحقوق الأسرة، والحقوق الفردية والجماعية. المجتمع الإسلامي لا يضيع فيه حتى أتفه الحقوق، والأمثلة على ذلك يجب أن نبحث عنها في صدر الإسلام.

بل إن في مجتمعنا أمثلة غير متكاملة على ذلك، إذ اننا مازلنا في منتصف الطريق إلى المجتمع الإسلامي المتكامل، ولكننا نسير في ذلك الاتجاه. علينا أن نشاهد الصورة الكاملة والدفاع الجميل عن حقوق الإنسان، جميع حقوق الإنسان، في صدر الإسلام، في حياة الرسول الكريم، في أدوار الحكم الحقيقي للإسلام والقرآن على المجتمع. إنه لم يغفل عن أي حق ـ مهما صغر ـ فجميع حقوق أفراد المجتمع مضمونة. إن علينا أن نواصل السعي للوصول إلى ذلك اليوم. إن على مجتمعنا أن يستمر في النضال حتى يبلغ تلك النقطة، والطريق أمامه صعب. كذلك على المجتمعات الإسلامية الأخرى أن تسعى من أجل الحكم الحقيقي للإسلام، وعلى المجتمعات البشرية أيضاً أن تسعى من أجل التحكيم الحقيقي ـ للدين الخالص ـ على أنظمتها، وهذا هو وحده طريق ضمان حقوق الإنسان، فبغير هذا يكون كل شيء ناقصاً.

إن الإخوة الأعزاء والأخوات العزيزات سيسعون خلال أيام انعقاد هذا المؤتمر؛ مؤتمر الفكر الإسلامي. لأن يدرسوا ـ إن شاء الله ـ مختلف جوانب الموضوع. ولكن الذي أرجوه هو أن يولوا هذا الحق

الأساسي من حقوق الإنسان مزيداً من العناية، وأن تتناول البحوث حاجات هذا المبدأ والركن الأساسي.

في ختام كلمتي أرحب مرة أخرى بجميع الإخوة الأعزة الذين شاركوا في هذا المؤتمر، وعلى الأخص أولئك الإخوة والأخوات الذين شرفونا بالقدوم من الدول الأخرى، وأشكر لهم حضورهم.

أرجو أن يتمكنوا في هذا الاجتماع من بذل جهودهم المناسبة، وأن يكون هذا المؤتمر ـ إن شاء الله ـ كنزاً جديداً وثميناً آخر من الأفكار الإسلامية للمجتمعات الإسلامية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم محمد (ص) وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين..

قال الله الحكيم في كتابه الكريم {بسم الله الرحمن الرحيم: الذين يبلّغون رسالات الله ويخشَونه ولا يخشَون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً}.

إنني لمسرور جداً لانعقاد هذا المؤتمر المبارك، مرة أخرى، بمشاركة العلماء الإيرانيين وغير الإيرانيين، الذين قَدِموا من أنحاء العالم، وإنني لأبارك لإخوتنا الأعزاء في منظمة الإعلام الإسلامي وأهنئهم على تمكنهم ـ هذه المرة أيضاً، كما هو شأنهم في كل عام ـ من اختيار موضوع مهم وملفت للنظر لطرحه على مائدة الدراسة والبحث في هذا التجمع الكبير.

موضوع البحث في هذه الجلسة هو الإعلام والتبليغ، وهو من المواضيع المهمة والحيوية جداً بالنسبة للعالم الإسلامي. وإنني على يقين من أن الإخوة والأخوات المشاركين في هذا الاجتماع قد قاموا بإعداد بحوث ودراسات مهمة وآنية نافعة، لغرض تقديمها الى هذا المؤتمر، وسوف تُطرح تلك البحوث خلال أيام المؤتمر، وإنني سأطرح على مسامعكم اليوم الخطوط العريضة والنقاط التي أعتقد

أن الانتباه إليها في هذا الاجتماع يعتبر أمراً على جانب كبير من الأهمية، وسأقوم بعرضها بشكل موجز.

أولاً ينبغي أن يكون واضحاً للعالم الإسلامي ولكل شعوب العالم، أننا حين نتحدث عن الإعلام والتبليغ ونخطط لهما فليس قصدنا من التبليغ هو ذلك المفهوم الشائع في العالم المادي اليوم والمتداول في جميع المجالات السياسية والاقتصادية وغيرها..

إن التبليغ الإسلامي ـ من وجهة نظرنا ـ يعني إيصال كلمة الإسلام، ويعني إيصال رسالته الى القلوب، وبأي وسيلة أمكننا ذلك من الوسائل الشريفة والمتناسبة مع المضمون والمحتوى المقدس لهذا التبليغ، أي التوحيد والإسلام.. سواء كانت هذه الوسيلة عبارة عن القول أو العمل، وسواء تم ذلك عبر السكوت أو غيره من الوسائل.

مهما تكن وسيلة الإيصال فإن غرضنا من التبليغ والإعلام هو هذا الأمر، وليس مفهوم الـ (**Propaganda**) الشائع والمتداول في العالم الغربي، وفي جميع العالم المادي القائم على الخداع وإظهار غير الواقع الحقيقي للآخرين.

التبليغ والإعلام عبارة عن امتلاك القلوب واحتلالها لا العيون والآذان والجوارح، على العكس مما هو شائع في العالم البعيد كل البعد عن المعنويات، إذ أنهم يعتقدون أن الإعلام ـ في الحقيقية ـ هو شيء من قبيل احتلال العيون والآذان والجوارح، وإيجاد جو بجعل الإنسان لا يستطيع أن يدرك الحقيقة بفكره وقلبه ويلمسها.

إننا لا نعتبر هذا إعلاماً وتبليغاً بل نعتبره خداعاً ومكراً، أما إعلامنا فإنه يتم عبر الحكمة والموعظة الحسنة والأساليب الإلهية والإنسانية.

والأمر الآخر هو أن الإعلام ـ بهذا المعنى الذي قلناه ـ قد أصبحت له أهمية استثنائية في العالم المعاصر، إذ رغم أن مواجهة دعوة الحق والتصدي لها كانا قائمين على مر التاريخ وطوال دعوات

الأنبياء، وبنفس الطرق والأساليب الموجودة هذا اليوم، إلا أن الوسائل والأدوات المستخدمة في مواجهة دعوة الحق هذا اليوم أصبحت في مستوى من القوة والهيمنة على حياة الناس بحيث أن الوسائل والأساليب التي كانت تؤثر على الإنسان ـ في ذلك الحين ـ بشكل محدود، وفي منطقة محدودة، أصبحت اليوم تملأ كافة أنحاء الحياة البشرية وفي كل مجالاتها وتغطيها، إذ أننا نجد اليوم أن نفس الأساليب التي استُخدمت في التاريخ لمواجهة دعوات الأنبياء (عليهم السلام) وفي مواجهة نبي الإسلام المكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، كل تلك الأساليب تشاهد في هذا اليوم كذلك.

في ذلك الحين، كان الكفار ـ كما ينقل القرآن الكريم ـ يطلقون الأصوات العالية ويحدثون الضجيج ليحولوا دون وصول آيات القرآن، وهي رسالة الحق، الى أسماع الناس المتعطشين لها، وتمثل صيحاتهم المرتفعة وصرخاتهم العالية وأصواتهم المتصاعدة ضجة إعلامية هدفها التغطية على صوت الحق والحيلولة دون وصوله الى أسماع الناس.

يقول الله عز وجل {وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغَوا فيه لعلكم تَغلبون} (فصّلت،26).

من أجل التغطية والتمويه على كلام رسول الله (ص) والحيلولة دون سماعه كان بعض الأشخاص يحدثون ضجة غوغائية مفتعلة، واليوم يتكرر الأمر ويحصل نفس ذلك الشيء الذي حصل آنذاك، ففي تلك الأيام كانوا يتهمون الدعاة الى الحق وينسبون إليهم أهدافاً وغايات باطلة وزائفة وهم منها براء.. كانوا يتهمونهم بالكذب والسحر وبالخداع والمكر وما شاكل ذلك..

واليوم أيضاً يحدث ما يشبه ذلك في العالم... كانوا يحرّضون الناس ضد الدعاة الى الحق آنذاك، ويجعلونهما وجهاً لوجه، ويتظاهرون بالدفاع عن الناس وحمايتهم.

وفي هذا اليوم يقوم الاستكبار العالمي بالعمل نفسه، وأنتم تشهدون هذه الأساليب الاستكبارية المعاصرة.

في ذلك الزمن كان فرعون يقول لشعبه، كما جاء في القرآن الكريم {قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم. يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون} يقصد بذلك موسى (ع) فيتظاهر بالاحتماء بموقع الدفاع عن حقوق الشعب ويحارب داعية الحق، ويزعم ـ كذباً ـ أنه ليس لديه من هدف أو غاية سوى خدمة ذلك الشعب.

وهكذا الأمر، في هذا الزمن، يحدث الأمر ذاته، وتمارس مؤسسات الإعلام الاستكبارية التصرفات الخبيثة والأعمال المؤذية نفسها، وبشكل واسع النطاق، في مواجهة الإسلام، وبشكل خاص في مواجهة الإسلام الثوري وفي مواجهة الجمهورية الإسلامية، وسألقي على مسامعكم ـ فيما بعد ـ إيضاحات في هذا الصدد.

ومن أجل أن تدركوا ضخامة الدعاية والإعلام المعادي الذي يمارسه عدو الإسلام ـ يعني الاستكبار العالمي بنوعَيه الشرقي والغربي ـ فسوف أشير إشارة عابرة فقط الى مسألة أن الفكر الإسلامي يواجه اليوم ـ باعتباره الإيديولوجية الثالثة، وباعتباره عقيدة ثورية في مقابل الشرق والغرب ـ حملة إعلامية كبرى وعظمى.

هذه الحملة الإعلامية الدعائية تنبعث عبر شتى الوسائل والقنوات، من قبيل محطات الإذاعة وشبكات التلفزة ووكالات الأنباء المختلفة، صباحاً ومساءاً، وفي كل أسبوع تنتشر بشكل شامل وواسع النطاق في كل أنحاء العالم.. الإسلام يواجه مثل هذا الكم العظيم من الدعاية المعادية.

لقد استصحبت إحصائية موجزة وقصيرة لأعرضها عليكم، وهناك ـ بالطبع ـ الكثير من أمثال هذه الإحصائيات على شتى الأصعدة وفي شتى مجالات الإعلام، ولكن هذه الإحصائية ليست سوى نموذج رأيت أن من المناسب ـ في الحقيقة ـ أن أعرضه عليكم.

يبلغ حجم الإعلام في العالم الغربي 7100 ساعة في كل أسبوع، وهي تشمل الولايات المتحدة الأميركية وألمانيا الغربية وبريطانيا واليابان، وهي ذات الحصص الأكبر بالنسبة للحجم الكلي، إذ تبلغ حصة أميركا 2100 ساعة في كل أسبوع وبحوالى 60 لغة من اللغات العالمية، وحصة ألمانيا الغربية

950 ساعة في الأسبوع، أما بريطانيا فتبلغ ساعات إعلامها 850 ساعة وبحوالى 60 لغة من اللغات العالمية. ويبلغ المجموع الكلي ـ كما ذكرت ـ 7100 في الأسبوع.

أما العالم الشيوعي فيضم الإتحاد السوفياتي وأوروبا الشرقية والصين وألبانيا وبعض الدول الشرقية الأخرى.

ومن باب المصادفة أن يساوي حجم هذا الإعلام، حجم الإعلام في العالم الغربي ـ أي 7100 ساعة ـ في كل أسبوع، إذ تبلغ حصة الإتحاد السوفياتي منها 2300 ساعة من خلال حوالى 80 لغة من اللغات العالمية شائعة الاستعمال وكثيرة الانتشار في العالم واللغات المحلية، أما ألمانيا الشرقية فيبلغ عدد ساعات إعلامها 1600 ساعة، والصين 1500 ساعة... الى آخره..

هذه هي المجموعة الإعلامية التي يشهدها العالم كل أسبوع، والعالم الإسلامي يواجه مثل هذا الحجم العظيم من الإعلام، وبعضها مخصص لمواجهة الإسلام، وهي تتضمن: الخبر، والتحليل السياسي، والتقرير الخبري وشتى المضامين والمواضيع الإعلامية، التي يتم حشو أذهان الشعوب بها بشكل عام، والشعوب الإسلامية بالخصوص.

وبالطبع فإن هذا لا يشمل وسائل الإعلام المقروءة ـ أي المطبوعات ـ ولا الأفلام السينمائية ولا الكتب، وهي ـ في الواقع ـ مهمة جداً، وهو لا يتضمن بقية وسائل الدعاية والإعلام المستعملة في الوقت الحاضر؛ إنها ليست سوى صنف واحد من صنوف الدعاية والإعلام وهي نموذج سلبي واحد.

إن ميدان الإعلام في العالم أصبح ـ حقاً ـ بمثابة ميدان الحرب، ويشبه المعارك العسكرية، فلقد صار للمعارك السياسية منظّروها الاستراتيجيون الماهرون والحاذقون، ولها الخبراء المتخصصون ذوو الفاعلية والتأثير، ولها غرف العمليات الخاصة بها، وفيها تجري أشكال وصنوف كثيرة من التعاون والتظافر، وتنفق في هذه المجالات أموال طائلة ومخصصات هائلة.

إن العالم الإسلامي يواجه كل هذا الكم الهائل والكيف من الأمواج المتلاطمة من الإعلام وكل هذه الوسائل والأدوات الإعلامية المتنوعة الكثيرة، باعتباره حاملاً لنظرية إيديولوجية معارضة لكلتا النظريتين القائمتين في الزمن المعاصر ومناقضة لهما.

ومن المناسب ـ حقاً ـ أن ينتبه علماء العالم الإسلامي ومفكروه لهذا الأمر، ويهتموا بهذا المجال وينهمكوا في العمل فيه، والتفكير ـ معاً ـ للارتقاء به، وحشد كل ما لديهم من الإمكانيات والطاقات وتسخيرها في هذا الصدد.

إن رأي الإسلام في موضوع الإعلام رأي صريح وواضح أيضاً، فالإسلام يعتبر أن التبليغ واجب وضروري، كما قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم {ومَن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين}. وقوله عز وجل {أُدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن}. وقوله تبارك وتعالى {فلذلك فادع واستقم كما أُمرت ولا تتّبع أهواءهم}.

صحيح أن هذا الخطاب موجه للرسول الكريم (ص) لكنه موجه ـ في الحقيقة ـ الى كل المسلمين والمسلمات. وهناك آيات كثيرة في القرآن بهذا الشأن غير تلك التي تُليت عليكم الآن.

وفي الآية التي بدأت بها الحديث {الذين يبلّغون رسالات الله ويخشَونه ولا يخشَون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً} تندرج أيضاً في سياق الآيات القرآنية الكريمة التي تتطرق الى هذا الموضوع.

كل هذه الآيات هي دروس لنا وتفتح أمامنا سبلاً واضحة وطرقاً محددة من أجل التمكن من تحقيق هذا الواجب الكبير.

وهناك حديث مشهور عن رسول الله محمد (ص) جاء فيه: "لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت" وهو يوضح وظيفة المرء والواجب الملقى على عاتقه، إذ يعتبر هذا الحديث الشريف هداية إنسان ما أفضل وأسمى من كل الأعمال، وأن هداية إنسان واحد هي أفضل من كل ما تشرق عليه الشمس وتغرب.

وبناء على ذلك، فإن واجب الإنسان واضح ومعروف من وجهة نظر الإسلام، إذ أننا مكلفون بتبليغ الإسلام والحقيقة، ولا نستطيع أن نترك تبليغ الحق والدعوة الى الله تبارك وتعالى بأي حال من الأحوال وبأي عذر.

المسلمون مكلفون، فرداً فرداً، وفي جميع البلدان الإسلامية، وفي ظل كل الأوضاع والظروف وفي جميع الأحوال، بمهمة التبليغ..، ومن الطبيعي أن للعلماء والمفكرين والمثقفين والشخصيات البارزة في المجتمع وظائفهم وواجباتهم الخاصة في هذا المضمار، لكن هذا لا يعني أن أفراد الأمة الإسلامية ليسوا مكلفين بواجب التبليغ.

علينا إبلاغ هذا الأمر للمسلمين، فرداً فرداً، وينبغي إفهامهم بأن كل شخص مكلف بواجب يتحتم عليه أداؤه، وهو التبليغ للحق والدعوة الى الإسلام بالقدر الذي يطيقه ويمكنه القيام به.

النقطة الأخرى التي ينبغي أن أشير إليها هي أننا نواجه اليوم ـ على صعيد تبليغ الإسلام ـ العديد من الآفاق والمجالات، ويجب أن يتم تحديد أنواع التبليغ الإسلامي مع أهداف هذا التبليغ فمن أجل أي شيء نمارس التبليغ للإسلام؟ وما هي الغاية؟

هناك العديد من الأهداف المفترضة والمتصورة في هذا المضمار، وسوف أشير الى بعض منها، وكل تلك الأهداف ضرورية في حد ذاتها، وحسب الظروف القائمة، وأي واحد منها لا يمكنه أن يحل محل الآخر، رغم أنها ليست على حد سواء من حيث الأهمية.

أحد أهداف التبليغ يمكن أن يكون عبارة عن نشر الإسلام في قارات العالم، وبسط نفوذه وتوسيعه في دول العالم المختلفة، في مقابل الأديان الأخرى. كما هو الحال ـ اليوم ـ بالنسبة لبعض الأديان وخصوصاً المسيحية.

فالمسيحيون يقومون بذلك بإنفاق أموال ضخمة، وبذل جهود كبيرة، وعبر تنظيمات ومؤسسات واسعة النطاق.

إن الكثير من البلدان لديها الاستعداد الكامل لتقبل الإسلام، وشعبها جاهز لاعتناق الإسلام، وهذا الأمر يمكن اعتباره أحد أهداف عملية التبليغ الإسلامي، وهو ـ بالطبع ـ ذو مكانة خاصة، ويتطلب توفر ظروف معينة، ويحتاج الى تهيئة مقدمات خاصة.

والهدف الأخر للتبليغ الإسلامي هو عبارة عن نهوضنا بمهمة حراسة الإسلام وصيانته، في مقابل الإيديولوجيات المهاجمة التي بدأت بالزحف على الحياة الإنسانية، وملء شتى مجالات الحياة البشرية، والتسلل الى عقول أفراد البشر..؛ يجب علينا الدفاع عن الإسلام، أو أن يكون لنا موقف هجومي تجاه الإيديولوجيات والنظريات الجديدة؛ وهذا الهدف هو الآخر ذو مكانة خاصة، ويتطلب ظروفاً مختلفة، ويتضمن مواجهة الماركسية والشيوعية والأُومانية وباقي النظريات الأجنبية ذات المواصفات الجذابة والقوالب المختلفة، والتي دخلت عبرها الى ميدان الفكر البشري، والتي يجري العمل على نشرها والتبليغ لصالحها بشدة في العالم الإسلامي.

وثالثاً: إننا حين نريد التبليغ للإسلام ينبغي أن يكون تبليغنا بهذا الهدف وهو: أن نقدم الإسلام كنظرية وكمدرسة لتحرير الإنسان في مقابل الإلحاد والاستكبار والاستبداد والحكومات الظالمة. علينا أن نمارس التبليغ للإسلام بهذا العنوان.

وهذا الجانب ليس مأخوذاً بنظر الاعتبار إلا بشكل قليل في العصور الأخيرة.. بلى كان هذا الأمر ملحوظاً في مرحلة صدر الإسلام، وكان الاهتمام ينصب عليه بهذا العنوان، وهو أنه مبدأ ودين جاء لتحرير الإنسان، ويتم التبليغ له بهذه الصفة. وفي العصور الأخيرة كانت الصفة الغالبة على التبليغ للإسلام هي الصفة الدفاعية خلال القرون الأخيرة.

أما بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران فقد أصبح التبليغ المطروح للإسلام ـ من جديد ـ هو ذلك النوع الذي كان مطروحاً في عصر صدر الإسلام.. صار التبليغ للإسلام يتم على أنه النظرية التي يمكنها إنقاذ البشرية والقضاء على هيمنة القوى الظالمة والغاصبة على الشعوب، وأن بإمكانه تعبئة الجنود من بين جماهير الشعب، وباستطاعته إقرار العدالة الاجتماعية ونشرها في صفوف الشعوب

والمجاميع التي ترزح تحت نير الظلم والتمييز العنصري.. بهذا العنوان، وبهذه السمة أصبح الإسلام اليوم مطروحاً في العالم.

وطبعاً فإن التبليغ للإسلام بهذه الصفة وبهذا المنظار يستلزم ظروفه الخاصة ووسائله المحددة، ويتطلب وجود الأشخاص المناسبين وكذلك الأرضية اللازمة والظروف المساعدة للقيام بذلك.

لقد أصبح الفكر الإسلامي ـ بعد انتصار الثورة الإسلامية ـ هو النقطة التي تتمركز فيها الآمال الفكرية والمعنوية للشباب المناضلين المؤمنين والمخلصين والمضحين، أينما التفّوا حول بعضهم وأينما اجتمعوا وكلما أرادوا البدء بتحرك نضالي تحرري، وكانت نقطة الأمل تلك في الماضي هي الأفكار الإلحادية والمادية للنظرية الماركسية.

رابعاً: التبليغ للإسلام بهدف نشر الإسلام النقي الصافي الخالي من الشوائب، في مقابل الإسلام المزيف وغير الخالص والذي دست فيه الأفكار المتباينة والأذواق المتنوعة والتعصبات والجهالات والآراء المتحجرة والخرافات.

هذا ـ أيضاً ـ هدف من الأهداف السامية جداً للتبليغ للإسلام. إذ أن الإسلام ـ وكما نعلم ـ قد خرج عن صفائه وتألقه ونقائه الأول، عبر القرون المختلفة التي مرت عليه والتي كانت مليئة بأصناف الأذواق وأنواع الظروف الاجتماعية وبمختلف أشكال التدخلات وممارسة القوى الكبرى فرض هيمنتها ونفوذها، وبشتى أصناف النظرات الضيقة أو الأفكار الأجنبية الدخيلة المختلفة.

ولا شك في أن الإسلام النقي والصافي هو اليوم في متناول أيدينا، لأن القرآن بين ظهرانينا، ولأن السنّة المطهرة والنقية هي الآن في متناول أيدينا.

أما تلك الفئات والشخصيات وأولئك المفكرون، وخصوصاً الجماهير، الذين لم يحاولوا أن يعيدوا الإسلام الى مصادره الأصلية ويقارنوه بما هو موجود في القرآن الكريم والسنّة النبوية، ويفرزوا الغث من

السمين، فإنهم قد ابتُلوا بأنواع الإنحرافات في مجال العقيدة والعمل بالإسلام.. وهذه حقيقة قائمة في هذا الزمن.

وقد ورد في حديث نبوي شريف عن رسول الله (ص) "لبس الإسلام (أو يلبس) لبس الفرو مقلوباً" صحيح أن الفرو الملبوس مقلوباً هو فرو أيضاً ولكنه عديم الجدوى وقبيح كذلك، أما الفرو الذي يلبسه الإنسان بشكل صحيح وليس مقلوباً فإنه جميل المنظر إضافة الى كونه يعطي الدفء في الوقت نفسه.

ولقد حدث هذا الأمر في المجتمعات الإسلامية، إذ ظهرت ـ مع الأسف ـ الأفكار المتحجرة والجامدة، والآراء ذات النظرة الضيقة والقصيرة المدى من ناحية، كما ظهرت في الجهة المقابلة بوادر أفكار القوى الأجنبية. وفي العقود الأخيرة حصل الخلط بين الإسلام والأفكار المادية الجديدة، أي أنه حين بدأ الفكر الماركسي أو الأُوماني يظهر في المجتمع، وجد له عدداً من الأنصار والمؤيدين، وحظي برضى عدد من الناس، فانبرى بعض المحبين للإسلام والمتحمسين له ليقدموا ـ حسب ظنهم ـ خدمة للإسلام، وبادروا الى مطابقة الأفكار الإسلامية مع تلك الأفكار المادية والخارجة عن الجو والمضمار الديني... هذه أيضاً حقيقة قائمة هذا اليوم.

إذاً، فإن أحد أهداف التبليغ والدعوة الى الإسلام هو عرض الإسلام النقي الخالص والمصفّى من الشوائب والمنزّه عن هذه الأخلاط والأشياء الغريبة عنه والإضافات المدسوسة فيه.

وكل واحدة من هذه المهام لها متطلباتها ومستلزماتها، وإننا إذا شئنا أن نبلّغ للإسلام فينبغي أن لا ننظر الى الأمور من زاوية واحدة، أو بمنظار واحد.

بعض الناس يتصورون أن التبليغ للإسلام يمكن أن يتم عبر الذهاب الى الشعوب التي لم تطّلع على الإسلام بعد، وأن القضية لا تتعدى أن يقوموا بعرض الإسلام على تلك الشعوب وإطلاعهم على ما فيه، أو دعوتهم الى النطق بالشهادتين.

بلى، هذا هو الآخر تبليغ للإسلام، لكنه ليس الجانب الأهم فيه، إنما الجانب الأهم والجزء الأهم في التبليغ للإسلام هو ذلك التبليغ الذي يتم داخل المجتمعات الإسلامية بهدف تقديم الإسلام لهم نقياً صافياً، أو بهدف عرض الأفكار المحاربة للاستكبار، والمناوئة للاستبداد والمضادة للاستضعاف.

وبالطبع فإنني مع فكرة أن يتم التبليغ للإسلام لتحقيق الهدف الثاني ذاته، وبالهدف الأول كذلك، إلا أنه ينبغي أن لا تُنسى الأهداف الأخرى أيضاً.

بعض المبلّغين يُرسَلون من قبل بعض البلدان الإسلامية الى أنحاء العالم كأفريقيا وأقاصي آسيا والى مناطق أخرى، في سبيل أن يجعلوا الناس يؤمنون بـ "لا إله إلا الله"، هذا في الوقت الذي نرى أن كلمة "لا إله إلا الله" غير مطبّقة في تلك الدول ذاتها كما قال الشاعر: "طبيب يداوي الناس وهو عليل".

يجب عليهم أن يعودوا ليشرحوا لشعوبهم معنى الإسلام، وليصفّوا الإسلام لتلك الشعوب، ويوضحوا مفاهيمه وقيمه وأبعاده، وليفهموهم ماذا تعني كلمة "لا إله إلا الله".

ورد في الحديث المروي عن الإمام الصادق (ع) ما مضمونه: "إن بني أمية أطلقوا للناس تعليم الإيمان ولم يطلقوا لهم تعليم الشرك ـ أو تعليم الكفر ـ حتى إذا حملوهم عليه لم يعرفوه" فهم يعلمون أنهم إذا علّموهم معنى الشرك وفحواه فإن الناس سيعرفون أن الوليد بن عبد الملك أو يزيد بن عبد الملك أو الوليد بن يزيد هو نفسه الطاغوت وهو الوثن والصنم، الذي تجب عليهم محاربته ومواجهته. ومثل هذا يحدث في بعض البلدان الإسلامية في الوقت الحاضر.

وحينما نريد ممارسة التبليغ للإسلام فإن هناك ـ أيها الإخوة وأيتها الأخوات ـ مواصفات للتبليغ ومواصفات للمبلّغ، وهذا ما سيتم بحثه ـ عادة ـ في مثل هذا الاجتماع، وآمل أن يتم بحثه في مؤتمركم هذا، فما هي صفات التبليغ الجيد؟ وما هي المميزات التي ينبغي أن يتوفر عليها التبليغ الناجح؟ ومَن هو المبلّغ الجيد؟

إذا ما أردنا أن نبحث موضوع المبلّغ الجيد فذلك لا يعني أن مَن لا تتوفر فيهم هذه المميزات ينبغي أن لا يقوموا بأي عمل في مجال التبليغ.. ليس المراد هذا، فالتبليغ واجب ينبغي القيام به، وإنما المقصود هو أن على جميع الذين يشعرون بواجبهم في مضمار التبليغ، ويؤمنون أن عليهم أداء هذا التكليف الإلهي، السعي الى إيجاد تلك الميزات والخصائص فيهم.

إن أهم هذه المميزات والخصائص هي ذات الأمور الوارد ذكرها في الآيات القرآنية الكريمة، ومن بينها الآية القرآنية التي تُليت مراراً {الذين يبلّغون رسالات الله ويخشَونه ولا يخشَون أحداً إلا الله..} هذه هي الميزة الأولى في المبلّغ للإسلام، وهي الخشية من الله تبارك وتعالى وعدم الخوف ممن سواه. وهذه الخشية تتمخض عنها نتيجة محددة تطرقت إليها آية أخرى، وهي قوله جل وعلا {ومَن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً..} (فصلت، 41).

إن العمل الصالح ناتج عن نفس تلك الخشية من الله سبحانه. فشرط الدعوة هو العمل الصالح، والخشية هي شرط العمل الصالح وملازمة له..

ثم تقول الآية المباركة {ولا يخشَون أحداً إلا الله} وإلا فإن المجاملات والاحتياطات والمخاوف والمداهنات أو المساومات، سوف تشكل عقبات وموانع في طريق بيان الإسلام الصافي النقي.

وإننا اليوم ـ على الصعيد العالمي ـ نواجه عين هذه المخاوف والاحتياطات والمجاملات والمساومات والخشية من غير الله. فالكثير من العلماء والمفكرين والمثقفين يعلمون الحقائق المتعلقة بالإسلام، ويدركون ملابسات القضايا الراهنة في العالم الإسلامي، لكنهم يكتمونها، بينما يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم {وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيِّنُنّه للناس ولا تكتمونه} (آل عمران، 187).

في الكثير من الأقطار الإسلامية لا يجري العمل بهذه الآية في الوقت الحاضر... فمسؤولو هذه البلدان لا يصرحون بما يعلمون ويكتمون الحقائق.

إذاً، فأحد الشروط الأصلية للدعوة والتبليغ ـ بل الشرط الأصلي لهما ـ هو عدم الخشية مما سوى الله.

أما الشرط الآخر من شروط التبليغ والمبلّغ فهو تناسب المقال مع مقتضى الحال؛ وسوف أقوم بتسليط الضوء على هذه النقطة بعض الشيء.

لقد تعلّمنا في دراستنا للأدب العربي واللغة العربية أن البلاغة هي انسجام المقال مع مقتضى الحال ومطابقته، فإذا لم يتحلَّ الكلام بهذه الصفة فقد خرج عن البلاغة، ولا يعتبر بليغاً ولا مبيّناً، ولا يَنفذ الى قلب المستمع أو يتغلغل في فكره وعقله.. هذا هو سبب تفسيرهم البلاغة بمطابقة مقتضى الحال، وإلا فإن البلاغة هي البلاغة وحسب، وهي من البلا غ والبلوغ، إن المطابقة مع مقتضى الحال هي ـ في الحقيقة ـ الميزة الرئيسية للكلام البليغ وشرطه الأساسي، الذي بفقدانه تنعدم صفة البلاغة عنه. إن المضمون الأساسي لحقيقة البلاغة والبلوغ ينبغي أن يكون المطابقة مع مقتضى الحال.

أريد أن أقول: إذا أردنا اليوم تحقيق المطابقة مع مقتضى الحال فماذا يجب أن نفعل؟ ماذا يوجد في العالم الآن كي ما نعمل طبقاً لمقتضاه؟

إذا شئنا أن نمارس التبليغ الجيد في العالم فينبغي أن ندرك ما هو القسم الذي يحتاج العالم بيانه من بين أقسام الإسلام؟! في بعض الأحيان تُطرح أمور الغرض منها التبليغ للإسلام على الصعيد العالمي، لكنها ليست إجابات كافية عن تساؤلات العالم. ينبغي أن نرى ما هي تساؤلات العالم منا حول الإسلام لنوضحها لهم. وهكذا الأمر على صعيد المجتمعات الإسلامية، فينبغي أولاً أن ننظر ما هي الأولويات؟ وما هي المتطلبات والاحتياجات؟ ومن أجل أن نعلم ما هي الاحتياجات الموجودة الآن ينبغي أن نعلم ما الذي يقال عن الإسلام في هذه الأيام؟!

إنني أوصي الإخوة العاملين في مجال الإعلام، وخصوصاً الإعلام على الصعيد العالمي، وحتى في ميدان الإعلام الداخلي المحلي، والمشرفين على شؤون الإعلام، وأؤكد عليهم، بأن يجتمعوا ليحددوا المحاور الرئيسية لهجمات عالم الكفر والجاهلية وغير المسلمين، ضد الإسلام وليرَوا من أي الجوانب

تُشن الهجمات ضد الإسلام وضد أي الجوانب من الإسلام تتركز تلك الهجمات، وما هي السموم التي يبثها أعداء الإسلام ضده، وما هي الأكاذيب التي يلفقونها لتشويه صورته؟!

علينا أن نعرف ذلك أولاً لنقوم بمعالجته، فما لم يتم تشخيص المرض فلن يتسنى وصف الدواء له ومعالجته؛ وفي ساحة المعركة ما لم تُعرف خطة العدو فإن الدفاع لن يتم بصورة صحيحة، وما لم نعرف من أين سيشن العدو هجومه لا يمكننا أن نشن الهجوم المضاد والمناسب.

وهكذا الأمر في مجال الإعلام، ينبغي أن ننظر من أين يريد العدو أن يهاجمنا؟!.. هذا أحد الموضوعات الضرورية جداً والتي ينبغي الاهتمام بها والعمل على طرحها ومعالجتها؛ وربما سيتم العمل ـ إن شاء الله ـ في هذا الاتجاه خلال أيام هذا المؤتمر، والمبادرة الى بحث هذا الموضوع.

على سبيل المثال، تُطرح في الوقت الحاضر إدعاءات ومزاعم تقول: إن الإسلام ضد العلم!! وإن الإسلام يحتّم القضاء والقدر!! أي القول بمذهب الجبر لا التفويض وأن الإسلام لا يهتم بحقوق المرأة!! ـ وخصوصاً قضية تعدد الزوجات ـ وأن الإسلام يسبب أو يخلق الفقر!! وأن الإسلام عاجز عن إدارة الدولة وإعمارها!! وتبذل الجهود وتركز المساعي من قبل أعداء الإسلام على إبراز هذه الإدعاءات والمزاعم وتضخيمها.

قبل عامين تقريباً، أقيم معرض تحت عنوان "معرض الإسلام" وهو يعرض من أوله الى آخره فقر العالم الإسلامي وفاقته، بهدف التركيز على أن الإسلام ليس قادراً على توفير الرفاه المادي لأتباعه والمؤمنين به، وهذا هو أحد الأهداف الاستعمارية ضد الإسلام.

ومن بين ادعاءاتهم ومزاعمهم الأخرى: أن الإسلام ذو منهج خرافي وبعيد عن المنطق!! وهذا ما يتم الترويج له والتركيز عليه أيضاً، وخصوصاً من قبل مروّجي النظرية الاشتراكية.

وفي أعياد رأس السنة الميلادية لعام 1988 بالذات، عرض التلفزيون السوفياتي في قناته الرئيسية برنامجاً تضمّن تمثيلية مستهجنة وقبيحة، توجه إساءة وطعناً للإسلام ومفاهيمه السامية، بزعم أنها تعكس نموذجاً من العالم الإسلامي ومن الأفكار الإسلامية.

إن علينا أن نبذل جهودنا ونوجه اهتمامنا لكي نوضح للشعوب أن الأمور ليست كما يصورها أعداء الإسلام. وفي الحقيقة إن هجمات أعداء الإسلام هي التي تحدد لنا اتجاه تحركنا لتفنيدها وكشف زيفها.

إنني أعتقد أن هذه هي أولويات التبليغ في العالم الإسلامي، وبالطبع فإنني لا أدّعي أن أولويات التبليغ تقتصر عليها وحسب، ولا أحصر نطاقها في هذه الجوانب التي عرضتها عليكم، لكنني أعتقد أنها الأهم في هذا المضمار، لأنني أرى أن هذه هي الأمور المطروحة في الوقت الراهن.

ولا يفوتني ـ طبعاً ـ أن أشير الى نقطة أخرى، وهي أننا حين نواجه هجمات الأعداء ينبغي أن لا نتصرف من موضع رد الفعل إزاء هجمات العدو، وقد مارسنا في الماضي القريب أمثال هذه المواقف الدفاعية والإنفعالية، وكمثال على هذه الحقيقة: مسألة الجهاد. فلقد حاول الأوروبيون والغربيون ـ ولقرون عديدة ـ أن يصوروا الإسلام بأنه دين السيف وسفك الدماء، ويرسموا لرسول الله (ص) صورة رجل قاسٍ عنيف ذي حاجبين معقوفين متداخلين مع بعضهما، وهو يحمل سيفاً يقطر دماً... هكذا كانوا يرسمون صورة الرسول الأكرم (ص).

وحين يقارن المرء هذه الصورة المزعومة للإسلام ورسوله بمزاعم المسيحية وتبليغها، المبنية في معظمها على مفاهيم الحب والسلام والمودة والرحمة بكل العالم والدعاء لكل المخلوقات والكائنات، بل وحتى للشيطان نفسه، وطلب الهداية، وحسن العاقبة حتى للأعداء، فإن نتيجة هذه المقارنة تكون عبارة عن ردود أفعال سيئة جداً في أذهان الرأي العام المسيحي.

فالمسيحية نفسها، لم تكن تصرح ـ علناً ـ بحقيقتها، وهي التي أشعلت نيران الحروب الصليبية، لمدة مئتي عام ضد الدول الإسلامية، وكم ارتكبت من الجرائم والمجازر في العالم الإسلامي ذاته.

هكذا إذاً هي الدعاية المسيحية، فالتبشير والإعلام الكنسي ـ وكما ذكرت قبل قليل ـ مبني على تلك المفاهيم والمزاعم، وهم لا يريدون أن يجهزوا بالحقائق ويصرحوا بها كما هي فعلاً.. إنهم يصورون النبي (ص) شخصية قاسية وعنيفة ومتعطشة للدماء!

وحين واجه المثقفون المسلمون الإعلام الأوروبي لأول مرة ـ وكان ذلك في بدايات القرن العشرين ونهاية القرن التاسع عشر ـ بعد عدة قرون من بدء ذلك الإعلام، فإنهم قد أصيبوا بالدهشة إذ أنهم حينما طالعوا الكتب الأوروبية، وتسنى لهم الاتصال بأوروبا، وحصل العديد من الزيارات، وبمجرد أن شاهدوا في مصر والهند وفي البلدان الإسلامية المتقدمة أن العدو قد شن هجومه ضد الإسلام عن هذا الطريق، وركز على موضوع القسوة والغلظة والشدة في الإسلام والسيوف الإسلامية، بادروا الى اتخاذ ردود فعل إنفعالية ودفاعية. وهكذا فإنهم ـ حسب اعتقادي ـ أنكروا مبدأ الجهاد في الإسلام من الأساس، ونفَوا أن يكون هناك تحرك مسلح في الإسلام، ووصل الأمر بهم الى مرحلة أن بعضهم قال: إن جميع الحروب التي خاضها رسول الله (ص) كانت حروباً دفاعية؛ إنني أُنكر ذلك.

لقد كان الرسول يخوض الحروب "ليُخرج الناس من الظلمات الى النور" وهو الهدف الذي حدده الإسلام للجهاد.. الإسلام يريد بواسطة الجهاد أن يخرج الناس من ظلم الأديان الأخرى (المحرَّفة طبعاً) الى عدل الإسلام، وليحطم القيود والسلاسل التي تكبل أرجل الناس، وهذا أمر لا يمكن تحقيقه بغير الجهاد ومواجهة ذوي القوة والهيمنة في العالم، وإزالة نفوذ مستكبري العالم وسيطرتهم. فهل يمكن تحقيق هذه الغاية بدون قوة السيف؟!

لقد كان الرسول الأكرم (ص) مضطراً لأن يخوض الحروب لأن طبيعة الدعوة تتطلب ذلك. مَن الذي يقول: إن معركة بدر كانت دفاعية؟! ومَن الذي يقول: إن الهجوم لفتح مكة كان دفاعياً؟! ومَن الذي يقول: إن معركة خيبر كانت دفاعية؟! ومَن الذي يقول: إن معركة حنين كانت دفاعية؟! لقد خطط الرسول الأكرم ونفذ ـ بمبادرة منه ـ أكثر من سبعين معركة وغزوة وسَرية وقادها بنفسه، فماذا يعني القول إنها دفاعية؟!

لقد أنكر المثقفون المسلمون الذي عاشوا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ـ وهم معروفون في العالم الإسلامي ـ الجهاد بشكل كامل، من موضع الإنفعال في مقابل الهجمة الغربية، بدلاً من أن يقوموا بإيضاح معنى الجهاد في الإسلام، وبدلاً من أن يبيّنوا للناس أن الجهاد في الإسلام يستهدف خدمة الجماهير المحرومة، وأنهلصالح الشعوب المظلومة، وهو حرب على الحكومات الظالمة والسلاطين الجائرين وليس ضد الشعوب، وأن الحرب في الإسلام ليست من أجل احتلال الأراضي، وإنما هي حرب من أجل إنقاذ الناس وتحرير البلدان من هيمنة الأعداء.

إنهم، بدلاً من أن يقوموا بإيضاح هذه الحقائق، قد أنكروا ـ من الأساس ـ مبدأ كون الجهاد الإسلامي ابتدائياً وهجومياً، وكان موقفهم هذا إنفعالياً، ونحن لا نقر هذا الموقف ولا نوافق عليه، ولا ينبغي أن يكون الدفاع هكذا في مقابل الأعداء.

وكمثال آخر في هذا السياق، فإن الغرب يهاجم مبدأ تعدد الزوجات في الإسلام، وهذا أمر موجود في الإسلام، وهو وارد في آيات القرآن الكريم بصراحة ولا يمكن المساس بهذا المبدأ.. لكن المثقفين المسلمين، وفي سبيل أن يكونوا بمنأى من هجمات الأعداء وليصونوا أنفسهم منها فإنهم أنكروا مبدأ تعدد الزوجات، في الوقت الذي كان بإمكانهم أن يوضحوا حقيقة هذا المبدأ وأبعاده، ويبيّنوا للناس ماذا يعني تعدد الزوجات؟ وأن الغرب الذي يعارض ـ في الظاهر ـ تعدد الزوجات فإنه هو الآخر يشهد تعدد الزوجات، وكل ما في الأمر أن الرجال الغربيين ينفذون ذلك على شكل علاقات غير مشروعة مع عدة نساء، من شتى الأشكال والأنواع، وقلما يوجد رجل في الغرب يبقى مصوناً من الوقوع في مثل هذه الخطايا والمزالق.

بينما الأمر يختلف في العالم الإسلامي، فإن الرجال والنساء فيه مصونون من التورط بمثل هذه الإنحرافات.

لا ينبغي التعامل بردود الفعل في مقابل هجوم الأعداء، يجب تشخيص العدو والتعرف على الثغرات التي يمكن أن يستغلها للتسلل ولشن الهجوم، وبالتالي ينبغي الوقوف بوجهه.

إنني أعتقد أن هذه أولويات التبليغ.. إنني أقول: إن علينا ـ أولاً ـ أن نرسم صورة شعبية للإسلام، الإسلام دين جاء لإنقاذ البشر، وهو دين بُعث نبيه من بين الطبقات الكادحة والمستضعفة، يجب أن لا نصوّر الإسلام للناس على أنه دين المترفين والطبقات المرفهة ودين السلاطين والزعماء والأقوياء.. الإسلام دين الناس المتعطشين والمتلهفين للعدالة.. هذه إحدى أولوياتنا الإعلامية.

إن الذين يتظاهرون بالإسلام ويتشدقون به وهم يرتدون الألبسة المذهّبة ويحيَون حياة التفرعن، ويدّعون أنهم ولاة أمر الإسلام وحماته يجب أن يعلموا أنهم يعملون للإضرار بالإسلام، وأنهم ـ بأعمالهم ـ يُسقطون الإسلام من أعين الجماهير؛ فالإسلام دين البساطة والود والمحبة والأخوّة، وهذه هي الأخرى من الأولويات الحيوية في التبليغ الإسلامي.

الأمر الثاني الذي يُعتبر من أولويات التبليغ الإسلامي هو أن نزيل عن صفحة الإسلام مسألة فصل الدين عن السياسة... فالإسلام هو ذلك الدين الذي عبادته ليست منفصلة عن سياسته، وكل مَن يقول بذلك فإنه إما أن يكون مغرضاً وخائناً وإما أنه جاهل لا يعلم شيئاً.. فالإسلام هو الدين الذي كان نبيُّه والمبلِّغ له حاكماً للناس، والإسلام هو الدين الذي وُضعت أحكامه من أجل إدارة حياة المجتمع. وليست السياسة إلا إدارة شؤون المجتمع، والإسلام هو الدين الذي تتركز معظم أحكامه في مجال حياة الناس وكيفية إدارة هذه الحياة.

كان بعض الأشخاص يريد أن يعزل الإسلام جانباً في المساجد، وهم الأشخاص الذين أرادوا أن يسيطروا على مجريات الحياة ومقاليد الأمور في البلدان الإسلامية، وفي سبيل أن يغتصبوا زمام الأمور لم يكن أمامهم سوى أن يطردوا الإسلام ويحصروه في زوايا المساجد ومحاريب المعابد ويمنعوه من الحضور الفعال في ميدان الحياة والمجتمع.

هؤلاء قاموا بفصل الدين عن السياسة، وقد راق ذلك لعدد من المسلمين وأعجبهم، وحين جربوا ذلك وجدوه جيداً، وكان ذلك يتضمن ربحاً مادياً لبعض الأشخاص، ويوفر الراحة لبعضهم الآخر.

إن فصل الدين عن السياسة تهمة كبيرة وجهت للإسلام، وإن من أهم الأولويات في مجال التبليغ الإسلامي هو وضع حد لفصل الدين عن السياسة وإنهاؤه بشكل كامل وحاسم.

ومن جملة أولويات التبليغ الإسلامي إيضاح الصورة الحقيقية لعظماء الإسلام بأساليب فعالة وبصيغ عملية، ولكننا ـ ومع الأسف ـ لم نعمل إلا القليل في هذا المضمار وتأخرنا كثيراً في البدء بهذا النهج.

إن من الضروري والمهم رسم ملامح الصورة الحقيقية لشخصية النبي (ص) وأهل البيت (عليهم السلام) وأصحاب رسول الله، والقديسين والصالحين والصديقين في الإسلام، وتقديم صورتهم الحقيقية للعالم، عن طريق استخدام الوسائل والأدوات والأساليب الفنية لا بتأليف الكتب وحسب... فالكتاب ـ بمفرده ـ لا يؤدي الغرض المراد هنا.

لقد قام كاتب فنان مسيحي بكتابة رواية أدبية عن القديس المسيحي المعروف "سان فرانسيس"، بهدف لفت أنظار العالم المسيحي الى المعارف المسيحية، وقد سلّط الضوء في تلك الرواية الأدبية على شخصية "سان فرانسيس" وشرح ملامحها وأبعادها... هذا ما قام به كاتب روائي يوناني شهير، فلماذا نحن غافلون عن هذا الجانب؟ إننا لم نقم بعرض ملامح شخصية نبينا الكريم (ص) وأهل بيته (عليهم السلام) وصحابته وعظماء الإسلام عبر الأعمال الفنية الأخرى التي تخاطب العواطف الإنسانية وتؤثر في الوجدان. نحن لم نقم بكل ذلك.

ما قمنا به هو أننا ألفنا الكتب، وكتبنا التاريخ، وكل فرقة من الفرق الإسلامية كتبت الأشياء التي ترغب بكتابتها، حتى لو كانت تتعارض مع كتابات باقي الفرق الإسلامية وتنفيها... هذه إحدى أولويات الإعلام والتبليغ الإسلامي التي ينبغي إيلاؤها الكثير من الاهتمام.

بل إن من واجب الفنانين الإسلاميين أن يخوضوا هذه التجربة ويلجوا هذا المضمار، لماذا يقوم المسيحيون بانتاج فيلم عن حياة نبينا (ص)؟ ـ لماذا لا يبادر المسلمون الى انتاج مثل هذا الفيلم؟! وأي فيلم؟! الفيلم الذي لا يتناول حياة الرسول ـ فهي أكبر من أن يتناولها فيلم واحد ـ وإنما الأحداث التاريخية التي شهدتها حياته الكريمة.

هناك الكثير من هذه الأحداث يمكن تناولها على شكل أفلام، من بينها مثلاً: معركة بدر، أو فتح مكة، أو صلح الحديبية، أو ليلة الهجرة النبوية المباركة من مكة الى المدينة، أو بيعة العقبة.. كل التاريخ الإسلامي يمكن إعداد أفلام عنه، وتسليط الضوء على تلك الأحداث وعرضها للناس، وهي تعكس وقائع الإسلام وملامحه ومعارفه، لأن حياة النبي الكريم تجسيد حي لمثل هذه الأمور.

لقد سئلت زوجة النبي عائشة عن خُلُق رسول الله (ص) فقالت: "كان خُلُقه القرآن". وكان رسول الله (ص) يجسّد قيم القرآن وآياته، فإذا ما سلّطنا الضوء على حياة النبي وقمنا بشرحها وإيضاح أبعادها فإننا نكون قد أوضحنا أبعاد القرآن وقيمه. هذه أيضاً إحدى أولويات الإعلام والتبليغ الإسلامي.

ثمة أمر آخر يعتبر من الأولويات الإعلامية والتبليغية، في الوقت الحاضر، وهو الدفاع عن الجمهورية الإسلامية؛ وإنني أتوجه بالحديث الى المثقفين والمفكرين المسلمين غير الإيرانيين، إن عليهم ألا ينظروا الى الجمهورية الإسلامية على أنها كيان قائم في مكان ما من العالم أو ثورة انتصرت بإمكانهم أن يحبوها أو يبغضوها تبعاً لميولهم وعواطفهم!!!

لا ينبغي أن يحملوا مثل هذه الفكرة، ولا يجب أن ينظروا الى الجمهورية الإسلامية من هذا المنظار، فإقامة الجمهورية الإسلامية حدث سعى الاستعمار للحيلولة دون حصوله طيلة مئتي عام، لكي يبرهن على أن زمن الإسلام قد ولّى، وأن الإسلام غير قادر على إدارة المجتمع وإقامة النظام السياسي.

لقد فنّدت الجمهورية الإسلامية بحركة واحدة مزاعم الاستعمار ودعاياته التي بقي يرددها طوال مئتي عام وأذهبتها أدراج الرياح... تلك المزاعم والدعايات التي شارك فيها آلاف المفكرين، وأُنفقت عليها المليارات من النقود، وكم حاولوا ـ جاهدين ـ نشر وترسيخ أفكارهم في العالم الإسلامي من أقصاه الى أقصاه.

ربما يكره بعض الفئات أو الأفراد هذه الجمهورية الإسلامية ولا يحبونها، أو أنهم لا يرتضون تصرف المسؤول الفلاني من مسؤولي الجمهورية الإسلامية، أو يكونوا مترددين في الرضى عنه، أو تكون لديهم تساؤلات وعلامات استفهام حوله؛ كل هذا يمكن أن يكون صحيحاً وفي محله ومنطقياً ويمكن أن

يحدث، ولكن الذي لا يمكن أن يكون منطقياً ولا يمكن الدفاع عنه وتأييده هو أن يحمل الشخص تساؤلات وشكوكاً حول الجمهورية الإسلامية، أو لا يدافع عنها؛ هذا ما لا يمكن قبوله أو تبريره.

إن الجمهورية الإسلامية تعني حاكمية القرآن وحاكمية الإسلام، ومن واجب كل مسلم في أية بقعة من أرجاء العالم أن يدافع عن هذا الكيان، ليس لأنه يعود لنا أو متعلق بنا، وليس لأنه ملك لإيران.

نحن أنفسنا كنا نتصرف هكذا خلال فترة الجور والظلم الشاهنشاهي.. لم تكن آنذاك ثمة حكومة باسم الإسلام يصرح دستورها الرسمي أن أي حكم أو قانون لا يمكن أن يُطبَّق إلا أن يكون متطابقاً مع القرآن والإسلام... لم تكن قد قامت في تلك الفترة حكومة على رأسها فقيه وعارف وعالم بالإسلام ومفكر إسلامي كبير... لم تكن هناك حكومة في العالم تكون قيمها مبنية على المعروف، والأمور المخالفة للقيم بنظرها عبارة عن المنكرات، ولم يكن في ذلك الحين نظام تكافح فيه المنكرات والمعاصي والفجور والفحشاء وشتى أنواع الفساد التي يبثها أعداء الأمة وينشرونها في المجتمعات الإسلامية، ولم تحصل في أي نظام مكافحة تلك المفاسد والإنحرافات بجد ومثابرة ودأب حثيث... لم يكن هناك نظام في العالم قد اتحد الكفر والاستكبار كله لقمعه وضربه لا لشيء إلا لأنه إسلامي {وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد}.

وفي نفس الوقت، كنا في فترة الظلم والجور الشاهنشاهي حين نشاهد تحركاً أو نهضة في مكان ما ينبض فيه عِرق إسلامي، فإننا نعتبر أنفسنا ملزمين بتأييده ودعمه، وهناك أمثلة على هذه الحقيقة.

إننا نعتقد أن الدفاع عن الجمهورية الإسلامية في الوقت الحاضر هو أحد أهم أولويات التبليغ للإسلام في العالم بل ويعد من أوائل تلك الأولويات.

ينبغي أن يقال لشعوب العالم: إن الإسلام يمكنه أن يجنّد الجماهير والشعوب، ويتم ـ من خلالهم وعلى أيديهم وبالاعتماد على إيمانهم ـ اكتساح حصون الاستكبار وقلاعه المنيعة، وإقامة نظام مبني على أساس الإسلام وعلى أساس القرآن، ويطبّق هذا النظام حاكمية الإسلام والقرآن ويرسي سيادتهما رسمياً. وهو نفس ذلك الشيء الذي كان يطمح إليه ويأمل في إقامته ـ سنين طويلة ـ الإسلاميون

المثقفون الواعون، منذ زمن السيد جمال الدين ومحمد عبده وبقية المفكرين المسلمين، وظل يراودهم هذا الحلم كل تلك السنين، وظلوا يتحرقون شوقاً الى تحقيقه... هذا أيضاً إحدى أولويات التبليغ والإعلام الإسلامي. هذا ما يخص التبليغ في الدول الأجنبية غير الإسلامية، وهي ذات الأولويات التي ينبغي السعي لتحقيقها في بلداننا نحن، أي في داخل بلدان العالم الإسلامي.

أضف الى ذلك، أن قضية الوحدة ـ الوحدة الإسلامية ـ تعتبر اليوم إحدى أهم الأولويات الإعلامية والتبليغية في العالم الإسلامي.

فبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران نشطت الدولارات النفطية والقروض الأميركية وغير الأميركية بشدة، للقضاء على وحدة العالم الإسلامي، وكان التركيز يتم ـ بشكل خاص ورئيسي ـ على قضية السنّة والشيعة.

وبما أن شعب إيران هم من الشيعة، فإن الاستكبار بذل كل ما في وسعه للحيلولة دون تمكن الثورة ـ التي قام بها هذا الشعب ـ من مد الجسور وإقامة الاتصالات مع بقية أنحاء العالم الإسلامي وبلدانه الأُخر، وارتأَوا أن منع حصول ذلك يمكن أن يتم عبر رفع حدة الخلاف وتصعيده بين الشيعة والسنّة، لذلك قاموا بتأليف العديد من الكتب في هذا المضمار (وطباعتها ونشرها على نطاق واسع)... ويوجد لدي في مكتبتي الخاصة عدد كبير من الكتب التي ألفها المفكرون المتلبسون بزي رجال الدين وذوو الأقلام المأجورة، المنبثّون في العالم الإسلامي، مستهدفين تحريض الشعوب ضد الجمهورية الإسلامية وإيقاع العداوة والبغضاء بينهما، فوجدوا أن ذلك ممكن عن طريق تأجيج نيران الخلاف بين الشيعة والسنّة.

إنني حين أقرأ بعض تلك الكتب أتمتم مع نفسي: رباه! كم يخشى أعداء الإسلام والثورة على أنفسهم ومناصبهم من هذه الثورة ويتوجسون منها خيفة؟! وكم لهذه الثورة الإسلامية من العظمة والأهمية بحيث تجعلهم يتشبثون بكل الوسائل ويلجأون الى كل الأساليب لإيذائها؟ ويا عجباً من أن الذين كانوا ـ وما يزالون ـ يتحدثون باسم الدين ويتشدقون به وكذلك الذين يكتبون باسم الوعي والفكر ويتظاهرون بهما زيفاً، هؤلاء هم أيضاً لا يخجلون من أنفسهم وفي مقابل الحصول على الأموال والدولارات من

أسيادهم يبذلون الجهود والمساعي الحثيثة من أجل تجريح الجسد الإسلامي. فالوحدة إذاً إحدى أولويات الإعلام والتبليغ اليوم.

أمر آخر يعتبر من أولويات التبليغ والإعلام في داخل المجتمعات الإسلامية، وهو الدعوة الى حكم الإسلام. إن الإسلام لا يقتصر على الأحوال الشخصية ـ بل وحتى هذا المجال أيضاً لم يبقَ بيد الإسلام وإنما تلاعب فيه حكام كثير من البلدان الإسلامية وأبعدوه عن متناول الإسلام ـ والإسلام ليس للعبادة وإحياء القلوب في زوايا المساجد والبيوت وحسب، وإنما جاء الإسلام في سبيل إدارة شؤون الحياة الإنسانية. الإسلام نظام للحياة ينبغي إيضاح هذا الأمر للشعوب كلها.

ومن ضمن الأولويات الإعلامية والتبليغية في العالم الإسلامي شرح وتوضيح الفرق بين الإسلام الأميركي والإسلام المحمدي الأصيل النقي. إن الإسلام الأميركي تعبير يرمز الى الإسلام الذي يخلو من المحتوى والمضمون ويقتصر على القالب والإطار... وهو الإسلام الذي "يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض" وهو أيضاً الإسلام الذي لا يوافق على أن {لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً}. إنه الإسلام الذي يرفض أن {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلَون إن كنتم مؤمنين} وهو الإسلام الذي لا يؤمن بـ {وما أرسلنا من نبي إلا ليُطاع بإذن الله} والإسلام الذي يرفض حاكمية الإسلام، وبالتالي فهو الإسلام الذي يداهن أميركا وينسجم معها، ولكنه لا ينسجم مع الجمهورية الإسلامية ويوافق على أعمال أميركا وفساد الغرب وفسقه، إلا أنه يرفض الجمهورية الإسلامية وهي التي تملأ أجواءها الآيات الإلهية.

هذا هو الإسلام الأميركي... إنه الإسلام الخليط الهجين، وإسلام التكبر والزهوّ، وإسلام القوى الظالمة.

أما الإسلام النقي الخالص، فهو الإسلام الذي ينطق به القرآن وتصدع به آياته، وهو الإسلام الذي يحمل الخصائص والمميزات التي عرضتها أثناء حديثي.

ينبغي إيضاح هذه الحقائق لكي تتبين ما هي حقيقة الإسلام الذي ندعو إليه ودعا إليه رسول الله (ص) وينبغي ـ طبعاً ـ أن نقول: إنه وبالإضافة الى الإعلام والدعاية المعادية للإسلام من قبل الأعداء فإن من المؤسف أن تجري مساعدة أعداء الإسلام ودعمهم ـ في الوقت الحاضر ـ من داخل المسلمين ومن بين صفوفهم، وأن المندسين من عملاء العدو موجودون في صفوف المجتمع الإسلامي، إضافة الى أن الأذواق المنحرفة والنظرات الضيقة وذات الأفق المحدود هي الأخرى تساعد العدو وتمكنه من الإضرار بمصلحة الإسلام وإلحاق الأذى به.

هناك في العالم الإسلامي ـ كما أشرت قبل قليل ـ مَن يعمل ويبذل الأموال الطائلة والجهود الواسعة للإضرار بمصالح الجمهورية الإسلامية والتبليغ ضدها، بدلاً من إنفاق تلك الأموال وتوظيف الجهود للتبليغ ضد الصهيونية والإمبريالية والشيوعية.

وإذا سلّمنا بوجود مثل هؤلاء في العالم، فكم سيكون من المناسب والضروري أن يطّلع العالم الإسلامي على أعمالهم ويعرف مَن هم، ويفهم أبعاد هذه القضية.

وطبعاً من أجل ألا يكون للإعلام والتبليغ الإسلامي أثره وبريقه في العالم، فقد بادر أعداء الإسلام الى عمل آخر من أعمالهم الخبيثة، وهو دعم التيارات غير الإسلامية وتشجيعها على الانتشار في البلدان الإسلامية لكي تصبح نداً منافساً للإسلام، كالعصبيات القومية المختلفة.

إنهم يقومون بإذكاء نار الشعور القومي لدى القوميات المختلفة في البلاد بحيث تؤول الأمور الى وضع يولي فيه المواطن المسلم في البلد الفلاني مصالح قوميته الدرجة الأولى من الاهتمام، وبعد ذلك يأتي الإسلام. هذا أيضاً من ضمن الأساليب والممارسات المعادية التي تؤدى وتمارس بدعم من الأعداء.

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، نحن في الجمهورية الإسلامية كنا طوال السنوات العشر الماضية هدفاً للإعلام المعادي والدعاية العالمية، وقلما حصل مثل هذا الحجم من الإعلام المعادي ضد شخص أو فئة مثلما كان نصيب الجمهورية الإسلامية من أعدائها لسنوات طويلة. لقد مارسوا التبليغ ضدنا بمستوى فريد من نوعه، حتى أن كل وكالات الأنباء الكبرى في العالم ـ أي الوكالات الأربع المعروفة

التي تبث 90 % من الأخبار العالمية، والتي تدار معظمها من الصهاينة ـ وجميع الإذاعات العالمية المعروفة التي تتم تغذيتها من قبل الدول الغربية والشرقية، كانت معظم دعاياتها وإعلامها تتركز ـ خلال هذه السنوات الماضية ـ ضد الجمهورية الإسلامية، وبأساليب ووسائل حديثة جداً.

وإننا، نحن الذين استهدَفَنا ذلك الإعلام المعادي وكانت حراب عدائه وحقده مشرعة في وجوهنا، نبدي إعجابنا بهذه القدرات الإعلامية والتبليغية التي تمثلت في أساليب وصيغ شتى ضد الثورة الإسلامية. وإن الإنسان ليعجب ـ حقاً ـ وهو يرى كم من العقول وُظّفت، وكم من الأفكار طُرحت، وكم من الأوقات صُرفت في هذا الاتجاه، وكم كُرّست جهود أشخاص متخصصين ودارسين لإدارة مثل هذه الحملة الإعلامية والدعائية المعادية لنا وتنظيمها.

خلال السنوات العشر الماضية، لم نَخْطُ خطوة ولم نقم بعمل ما إلا وكان الإعلام العالمي لنا بالمرصاد، وليقوم بكتابة المقالات المختلفة وبشكل مستمر ضدنا، وأحد تلك المواضيع هو موضوع حقوق الإنسان.

كثيراً ما زعموا وتمشدقوا في الإعلام العالمي بأن حقوق الإنسان يجري انتهاكها وسحقها في الجمهورية الإسلامية.. ترى مَن الذين رددوا ذلك وزعموه؟! إن أكثر الأصوات علواً في هذا المجال هي أصوات الذين ينقضون أبسط حقوق الإنسان بشكل سافر وعلني. بل ويفتخرون بذلك أيضاً.. إنهم نفس أولئك الذين استخدموا القنبلة الذرية ـ ولأول مرة في العالم ـ ضد المدنيين العزّل وألقَوها على كل من هيروشيما وناكازاكي، وأزهقوا بذلك أرواح عدد كبير من الناس، صغاراً وكباراً، في لحظة واحدة، فيما بقي الألوف الآخرون معاقين ومقعدين حتى الموت.

إنهم نفس أولئك الذين شنوا على رؤوس الأشهاد، وفي وضح النهار، هجوماً سافراً ضد دولة أخرى (ليبيا) وبالتحديد على عاصمة تلك الدولة؛ وهم نفس أولئك الذين هاجموا وأسقطوا طائرة الركاب المدنية العائدة للجمهورية الإسلامية، وحاولوا في البداية أن ينكروا قيامهم بذلك، لكنهم رأَوا أن عملهم غير قابل للإنكار فاعترفوا بإسقاطهم تلك الطائرة التي كان على متنها ما يربو على الـ 300 من

المسافرين الإيرانيين وغير الإيرانيين، صغاراً وكباراً، نساءاً ورجالاً وأطفالاً، لكنهم لم يعبأوا بكل ذلك فأطلقوا عليها صاروخاً من إحدى سفنهم وأسقطوها في البحر، مما أدى الى مصرع ركابها جميعاً.

هؤلاء الذين ينقضون حقوق الإنسان بكل تلك الوقاحة والصراحة هم أنفسهم الذين يدّعون كذباً ويزعمون أن حقوق الإنسان تُنقض في الجمهورية الإسلامية، ويركزون حملاتهم أكثر من الباقين على الجمهورية الإسلامية بالذات.

هؤلاء هم الذين يهاجمون البلدان الأُخر ويسقطون حكوماتها وهم الذين دبروا في بلدنا بالذات ـ ومنذ بداية انتصار الثورة الإسلامية ـ شتى أنواع المؤامرات والأعمال المعادية. وهؤلاء هم أنفسهم أسياد أعداء الثورة الإرهابيين الذين استُشهد على أيديهم في السنتين أو الثلاث الأولى من قيام الجمهورية الإسلامية الكثير من أبرز الشخصيات البارزة في الثورة، وكان من بين أولئك الشهداء العظام: رئيس الجمهورية، ورئيس الوزراء، ورئيس السلطة القضائية، وعدد من أعضاء مجلس الشورى الإسلامي وعدد من الوزراء، وكان عددهم يربو على 70 أو 80 شخصاً، وفي الأعم الأغلب قاموا باغتيال مثل هذه الشخصيات فضلاً عن أئمة الجمعة والعلماء الكبار.

هؤلاء القتلة الإرهابيون هربوا خارج البلاد، ولجأوا الى تلك البلدان التي تدّعي حكوماتها ـ اليوم ـ زيفاً وتتمشدق بحقوق الإنسان، وأصبحوا يتمتعون بحمايتهم.

ألا تسأل أميركا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا وبقية الدول التي ترفع عقيرتها بالدفاع عن حقوق الإنسان كذباً، ألا تسأل أنفسها: أنه لو كنا حقاً دعاة حقوق الإنسان فكيف احتضنّا هؤلاء الإرهابيين المتوحشين القتلة الخبثاء القساة، وكيف نوفر لهم الحماية وندافع عنهم في نفس الوقت الذي ندّعي فيه الدفاع عن حقوق الإنسان؟!

إننا نعلن أنه لا يمكن رعاية حقوق الإنسان وتطبيقها إلا في ظل الإسلام والأحكام الإسلامية، وإننا نحن الذين نقوم الآن بتطبيق تلك الحقوق ورعايتها، وطبعاً فنحن لا ندّعي أننا تمكنا من تطبيق أحكام

الإسلام بشكل كامل، ولكننا قد سرنا في هذا الطريق وخطَونا خطوات كبيرة في هذا المضمار، وما زلنا نسير فيه الى الأمام.

إن حقوق الإنسان تخصنا نحن أولاً، وهذه إحدى التهم والافتراءات التي وجهت إلينا. واتهموا الجمهورية الإسلامية كذلك بالإرهاب، في الوقت الذي يقومون فيه هم بتشجيع الإرهاب ورعايته، فهم الذين يسقطون طائرة الركاب المدنية والطائرات العسكرية ويهاجمون بيوت الناس الآمنين، ويقومون بغزو غرينادا، ويقدّمون الدعم والمساندة لأعداء الثورات التقدمية ومعارضي الحكومات الثورية ويساعدونهم، ويوفرون الدعم المادي والمعنوي للأشخاص المنحطين والخبثاء، وهم يمارسون أشد أنواع الظلم والجور وأكثرها فظاعة ضد الطبقات المحرومة في بلدانهم، وخصوصاً ضد الزنوج، ويستخدمون في كل حين كل وسيلة ممكنة ضد أعدائهم، ويقومون بتصفيتهم جسدياً، وهم ـ رغم كل ذلك ـ لا يعتبرون تلك الأعمال أعمالاً إرهابية.

أما حينما تقوم الجمهورية الإسلامية بالدفاع عن مسلمي لبنان المظلومين، فإنهم يطلقون على ذلك اسم حماية الإرهاب، وعندما ندافع عن ثوار فلسطين المظلومين والذين لا ناصر لهم، يتهموننا بالدفاع عن الإرهاب.. وحين ندافع عن أولئك الذين يعانون بشدة في عقر دارهم من ظلم عملاء أميركا وأذنابها، فإنهم يتهموننا بحماية الإرهاب.

لقد ذهبوا بعيداً في ممارسة الإعلام والدعاية ضدنا في العالم، بأن الجمهورية الإسلامية تؤيد الإرهاب وتدافع عنه، بحيث أنهم يكررون القول ويعيدونه مراراً حتى يصبح ذلك من الحقائق التي تصدقها كثير من الشعوب، ويظنون ـ فعلاً ـ أن هذه الإدعاءات صادقة وحقيقية.

وفيما يخص الحرب، ينبغي القول: إنه ما من خطوة كنا نخطوها في السنوات الثماني من الحرب التي فُرضت علينا إلا ويجعلونها مادة إعلامية ضدنا ويبثونها عبر وسائل إعلامهم.

وبعد أن وافقنا على قرار مجلس الأمن المرقم 598 فإنهم استمروا أيضاً في ممارسة الدعاية والتضليل وكتبوا المقالات المعادية لنا، وأذاعوها عبر كل الإذاعات، وبثوها من خلال وكالات الأنباء. إتهموا

الجمهورية الإسلامية بأن لها علاقات مع "إسرائيل" وأميركا، ولديها ارتباط خفي معهما، وردَّدت هذه المزاعم نفس الإذاعات المرتبطة بأميركا وإسرائيل، ويكفيهم خزياً وصفاقة وقبحاً أنهم حين يريدون تشويه سمعة شعب أو حكومة ثورية فإنهم يتهمونها بأن لها علاقة مع الصهاينة وأميركا.

وحتى بالنسبة لحكومة جنوب أفريقيا العنصرية، كنا أولى الدول التي عملت بحزم في مواجهة ذلك النظام وقطعت حكومة الجمهورية الإسلامية كل العلاقات مع أفريقيا الجنوبية في اللحظات العنصرية القائمة هناك، وقطعنا تصدير نفطنا الذي كان النظام الشاهنشاهي المقبور يصدّره إليهم بكميات كبيرة.

وفي أحد المؤتمرات العالمية التي عقدت لمناقشة شؤون النفط ـ وكانت قد عقدت مؤتمرات لمناقشة التمييز العنصري ـ كانت الجمهورية الإسلامية مشاركة في ذلك المؤتمر، قام عملاء الحكومات العميلة لأميركا والاستكبار العالمي ـ الذين يقدّمون هم أنفسهم الدعم والإسناد لنظام جنوب أفريقيا ـ بإعداد قائمة بأسماء الدول التي باعت النفط لنظام جنوب أفريقيا، ومن بين الأسماء التي كتبت في تلك القائمة اسم الجمهورية الإسلامية! ووضعوا في القائمة رقماً لسفينة زعموا أنها قامت بنقل النفط الإيراني الى جنوب أفريقيا، وقد وُزّعت أعداد كبيرة من تلك القائمة في المؤتمر.

ولما أُحِطْت علماً بمثل هذا الأمر، كتبت الرقم المذكور وبرفقته كل المعلومات المذكورة عن السفينة، وكلفت مجموعة من الأشخاص بمتابعة هذه القضية وإبلاغي النتيجة؛ وكانت نتيجة البحث والاستقصاء هي أن ما ذكر في هذا الصدد كان كذباً محضاً ولا صحة له، ولم تذهب تلك السفينة مطلقاً الى منطقة أفريقيا عموماً وأفريقيا الجنوبية خصوصاً، وكان معروفاً من أين حمِّلت بالنفط وأين بِيع ذلك النفط ولمن تم بيعه.

هكذا أوردوا ادعاءاً مختلفاً وعارياً عن الصحة بكل وقاحة وصلف وقاموا بنشره وبثه بشكل واسع، من أجل تشويه سمعة الجمهورية الإسلامية والمساس بها.

بل إن "إسرائيل" نفسها، بالإضافة الى حلفائها، يحاولون الإيحاء عبر شتى أساليبهم ووسائل إعلامهم ـ وبخبث واضح ـ بفكرة أن لدى الجمهورية الإسلامية علاقات وصفقات شراء أسلحة مع "إسرائيل". في

الوقت الذي نعلم أن هذا ليس سوى مجرد افتراء وكذب 100 % وليست لدينا أية علاقة مع الصهاينة أعداء العالم الإسلامي، لا على صعيد صفقات الأسلحة ولا في مجالات السياسة أو الاقتصاد ولا في أي مجال آخر.

بل إن لإيران ديوناً مترتبة على "إسرائيل" كانت قد بقيت في ذمة الصهاينة منذ زمن الشاه المقبور، لم تقدم حكومة الجمهورية الإسلامية ولو طلباً واحداً بتسديدها، لأن ذلك يتطلب ـ بالتالي ـ ترتيب اتصالات وإجراءات معينة لتسليم وتسلّم هذه المبالغ من الكيان الصهيوني الغاصب، ولم تشأ الجمهورية الإسلامية أن يكون لديها حتى مثل هذه الدرجة من العلاقة أو الاتصال. بينما نعرف أن أشد الشعور عداءاً للصهاينة هو شعبنا، وأكثر الحكومات إعلاناً وتصريحاً بمعاداتها للصهاينة وأكثرها جدية في ذلك هي حكومة الجمهورية الإسلامية، ومع ذلك فإن الإعلام العالمي يوجه إليها مثل تلك التهم والافتراءات، وصوروا الأمر وكأن لدى إيران علاقات ما مع الصهاينة أو أميركا، بينما الواقع يشهد أن ذلك محض اختلاق وكذب ليس إلا.

هكذا يجري توجيه الإعلام ضدنا..

لقد أشاعوا أن الجمهورية الإسلامية قد تخلت عن أهدافها الأولية وتراجعت عنها، بعد عشر سنوات من قيامها، وربطوا بين هذا الزعم والإدعاء، ونهاية الحرب، بينما ـ في الحقيقة ـ كان هذا كذباً محضاً.

فالأصول والمبادئ الإسلامية هي النور الذي يضيء الطريق لنا، ونحن ما زلنا نواصل السير في ظل تلك المبادئ والأصول.. والأصول والمبادئ التي تؤمن بها وتطبقها الجمهورية الإسلامية هي: مبدأ الاستقلال الكامل ومبدأ "لا شرقية ولا غربية" وهو ما نطبقه في الوقت الحاضر بنفس القوة التي كنا نطبقه بها فيما مضى، ومبدأ الاستناد الى رأي الشعب، وهذا الأمر يوجد في إيران اليوم بصيغة من أفضل الصيغ الموجودة في العالم ـ ولا أقول إنها الأفضل في العالم كله ـ سواء من حيث كيفية ارتباط أفراد الشعب بالنظام والحكومة والوزارة، أو تأثير هذا الارتباط.

العلاقة بين أفراد الشعب والحكومة هنا تمثل إحدى أفضل صيغ تدخل الشعب في قضايا البلاد وأمورها وفي تقرير مصيرهم.

ومن بين مبادئ الجمهورية الإسلامية وأصولها مبدأ تطبيق الإسلام والتقيد بأحكامه، فهل من الممكن مس هذا الجانب بسوء؟! إن في دستور الدولة مبدأً ثابتاً ينص على أن أي قرار أو قانون يتم اتخاذه في الجمهورية الإسلامية يعتبر باطلاً وساقطاً عن الاعتبار بشكل كامل إذا كان مخالفاً للإسلام وغير منسجم والأحكام الإسلامية، وقد ذكر في سياق ذلك المبدأ أن هذا المبدأ يعتبر ساري المفعول ومقدماً على كل المبادئ والقوانين الأُخر الموجودة في الجمهورية الإسلامية فلو تعارض هذا المبدأ مع أي مبدأ أو قانون آخر ـ حتى لو كان ذلك المبدأ أحد مبادئ الدستور ـ فإن الأولوية والاعتبار سيكونان لهذا المبدأ الأساس.

فهل من الممكن أن تنفصل الجمهورية الإسلامية عن الإسلام أو تتخلى عنه ولو للحظة واحدة؟! إننا إذا أحسسنا يوماً ما أن طريق هذا النظام الجمهوري الإسلامي يحيد عن الإسلام وينفصل عنه ـ لا سمح الله ـ فإننا نحن أنفسنا سنرفض ذلك. إن مبرر وجودنا ووجود هذا النظام رهين بالإسلام، والإسلام هو كل شيء بالنسبة لنا وهو الهوية الحقيقية لهذا النظام وروح هذا النظام.

إنني أعتذر عن إطالة الحديث بعض الشيء، وكنت قد كتبت أموراً أُخر أحببت أن أطرحها في هذا المؤتمر ولكنني أعتقد أنني لو أردت أن أطرحها فسوف تطول هذه الجلسة كثيراً، ولقد أتعبكم حديثي، وآمل أن يكون هذا الاجتماع اجتماعاً مباركاً، وأن تقوموا ـ أيها الإخوة الأعزاء، الإيرانيون وغير الإيرانيين، المشاركون في هذا المؤتمر ـ ببحث القضايا المطروحة في جدول الأعمال بشكل جدي إن شاء الله، وأن تقوموا بالتعمق في ذلك وتحديد القضايا المهمة لتبليغ الإسلام، وإيضاحها، وتُقدّموا إن شاء الله للمجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية ثمرة ونتيجة فكرية قيّمة من وراء انعقاد هذا المؤتمر الكبير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.